المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية



لامية العرب

دراسة تاريخية نقدية

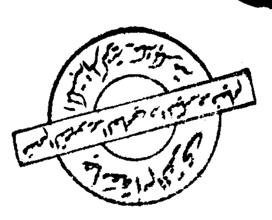
بحث مقدم لنيل درجة الماجستير
في الأدب والنقد

إعداد الطالب

محمد مشعل الطويرقي

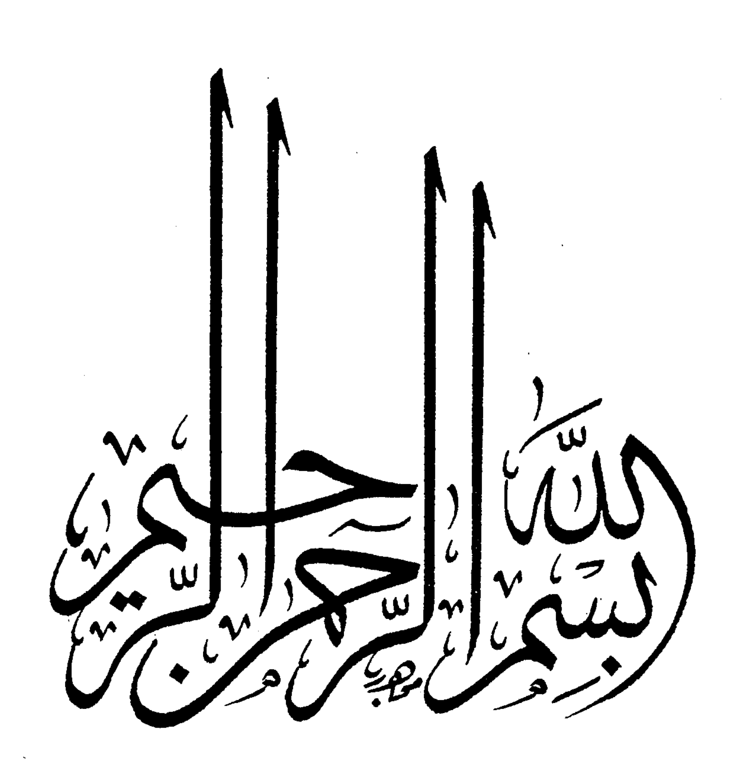
إشراف الدكتور

لطفي عبد البديع





١٤٠٦هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ
وأن أعمل صالحا ترضاه "
صدق الله العظيم

وبعد :

فإنني أشكر جامعة أم القرى على إتاحتها لي فرصة الانتماء إليها والتحضير فيها .

وأخص بالشكر الجزيل سعادة الأستاذ الدكتور لطفي عبد البديع على ما بذله من جهد ووقت في الإشراف على هذا البحث ومتابعته في مراحله المختلفة .

كما أخص بالشكر أساتذتي وزملائي الذين أسهموا في مساعدتي وفي مقدمتهم سعادة الدكتور عبد الله الجربوع وسعادة الدكتور عبد الله العبادي وسعادة الدكتور عليان الحازمي .

والله ولي التوفيق !

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فلامية العرب من عيون الشعر العربى التى احتفل بها النقد قديما وحديثا ، وتوافر على شرحها اللغويون والرواة كالمبرد وثعلب والتبريزى والزمخشرى والعكبرى ...

ولم تقتصر العناية بها على القدماء بل تجاوزتهم إلى المعاصرين فترجمها المستشرقون إلى عدة لغات أوربية ، كالانجليزية والفرنسية والألمانية كما ترجمت إلى اللغة البولندية ، وتنم أقوالهم فيها عن إعجاب بالغ من ذلك ما قاله كرنكو: **هى من أجمل آيات الشعر العربى**[1]، وتناولها بالبحث كل من دوساى de sacy (١٨٢٦) ونولدكه Noelcke وجورج ياكوب G,Jacob (١٩٢٣) ، كما تناولها من العرب المعاصرين عدد كبير .

ولا يقتصر تاريخ لامية العرب على ما كتب حولها من دراسات بل يمتد ليشمل ما أعقبها من لاميات نسبت للأمم الأخرى وهى لامية العجم ولامية الهند ولامية الأتراك ولامية الروم .

وتختلف هذه القصيدة فى بنيتها عن مثل ما ذكره ابن قتيبة عن القصائد الجاهلية الأخرى التى تبدأ بالنسيب وذكر الديار ثم تنتقل الى الغرض الذى من أجله قيلت ،ولعل هذا كان من دواعي الشك فى نسبة القصيدة للشنفرى وعزوها لخلف الأحمر.

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١٣ : ٣٩٥ .

وكان لما أثير حول اللامية من إشكالات سواء فى نسبتها أم فى وحدتها أثر في أن حظيت بالبحث الذى لم يخرج فى جملته عما تناولها به القدماء من اللغويين والرواة .

لهذا كان لابد من التصدى للامية فى أفق جديد يتناول هذه الإشكالات ويتعرض لتاريخها ونسبتها وما تنفرد به من لغة شعرية وهذا ما عولت عليه فى هذه الرسالة .

وقد أدرت البحث على خمسة فصول هى :

الفصل الأول : "التسمية" وتناولت فيه تسمية القصائد العربية وكيف كانت هذه التسمية تمييزا لتلك القصائد المسماة وتعرضت لطرقهم فى التسمية ومن ثم حاولت توضيح السبب في انفراد لامية العرب بهذا الاسم دون سواها .

وفى **الفصل الثانى :** تعرضت لنسبة القصيدة ، ووقفت على الخبر الذى أورده القالى فى أماليه والذى كان بمثابة الشرارة التى أوقدت نار الشك فى نسبة القصيدة ، ثم تعرضت لدور رواة الشعر فى محاولة لتصحيح النظرة فى نسبة القصيدة إلى خلف الأحمر ، كما وقفت على الأدلة التى ساقها المشككون ، وتصديت للرد عليها وابطالها .

أما الفصل الثالث : فقد تعرضت فيه لشروح اللامية عند المبرد والزمخشرى والشاوى وبينت معالم كل منها وما يمتاز به عن سواه ، ثم تطرقت بعد ذلك إلى دراساتها فى العصر الحديث وهى لا تخرج فى جملتها عن الشروح القديمة .

وأدرت الفصل الرابع على تحليل اللامية ، وتوفرت على بحث لغتها الشعرية وبينت معالم هذه اللغة .

أما الفصل الأخير فعرضت فيه للاميات التى تنسب للأمم الأخرى وكانت ~~صدى للامية العرب~~ ، وقمت بدراسة مقارنة بين لامية العرب وهذه اللاميات من حيث المعانى والأفكار ..

والله المستعان .. !

الفصل الأول

التسمية

أصـول تسمية القصائد العربيـــة :

سمت العرب القصائد كما سمت الجبال والأودية وموارد الماء ....

فكأنما كانت هذه القصائد معالم كبرى في الشعر العربي تسمى لتذكر وتخلــد ، فكأن التسمية نوع من الحكم عليها إذ أنها تمييز لنباهة ذكرها وإشادة وتعريـف بهـا .

ومع ذلك فقد صارت التسمية حقاً تاريخياً للقصائد المسماه ، يقـول ابن النحاس : " وليس لنـا أن نعـترض في هذا فنقول : في الشعر ما هـو أجود من هذه ، كما أنه ليس لنا أن نعترض في الألقاب وإنما نؤديها على مـا نقلت إلينا " (١)

وقد كانت لهم طرقهم التي يسمون بها ، فالمعلقات سميت بذلـك لكتابتها بماء الذهب وتعليقها بين أستار الكعبة (٢) يقول ابن عبد ربه : " كان

---

(١) شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس : ٦٨١

(٢) الرأى الآخر سنشير إليه فيما بعد ...

الشعر ديوان العرب خاصة والمنظوم من كلامها ، والمقيد لأيامها ، والشاهد على أحكامها ، حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها بين أستار الكعبة " (١)

وهذه القصائد تسمى " المذهبات " (٢) قال ابن رشيق : " وكانت المعلقات تسمى "المذهبات" وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة " (٣) .

كما تسمى " السموط " ، وهذا الاسم مرتبط أيضا بالتعليق ، فالسمط خيط النظم ، والخيط ما دام فيه الخرز فهو سمط وإلا فهو سلك والسمط أيضا القلادة وسمّطت الشيء علّقته (٤) .

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه : جـ٥ : ص ٢٦٩ .

(٢) أطلق اسم المذهبات في جمهرة أشعار العرب على قصائد للأوس والخزرج ليس أي منها معلقة ، وقد ذهب الرافعي إلى أنه كما كانت هناك معلقات ثوان كانت أيضا هناك مذهبات ثوان فالأمر قائم على التشبيه .

(٣) العمدة لابن رشيق : جـ١ : ٩٦ .

(٤) لسان العرب لابن منظور مادة " سمط " .

والعرب هي التي سمتها " السموط " قال المفضل : " هؤلاء أصحاب السبعة الطوال التي تسميها العرب السموط ، فمن زعم أن في السبعة شيئا لأحد غيرهم فقد أخطأ وخالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة "(١) ، إلا أن الرافعي ينكر ذلك ويقول : " وأصل التسمية بالسمط أو السموط عن حماد الراوية ففي بعض أخباره قال : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منها كان مقبولا وما ردوا كان مردودا ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم :

هلْ ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ

فقالوا هذه سمط الدهر ، ثم عاد إليهم فى العام المقبل فأنشدهم :

طَحَا بك قلبٌ فى الحسانِ طروبُ

فقالوا : " هاتان سمطا الدهر " (٢)

وقد أخذت هذه المسميات الثلاثة من حادثة كبرى ارتبطت بها هذه القصائد هي كتابتها بماء الذهب وتعليقها على الكعبة . (٣)

---

(١) جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب القرشى : ٩٨

(٢) تاريخ آداب العرب للرافعى ج ٣ : ١٨٥ .

(٣) هناك رأى آخر ينكر خبر التعليق ، ورأس هذا الرأي هو ابن النحاس حيث قال " واختلفوا فى جمع هذه القصائد السبع وقيل أن العرب كان أكثر ها يجتمع بعكاظ يتناشدون الأشعار فاذا استحسن الملك قصيدة =

وتؤخذ أسماء القصائد أيضا من الصفات ،فالمنصفات هي القصائد التي أنصفت أعداء قائليها وأعطتهم من الحق مثلما للنفس ، وهذا ما تدل عليه مادتها فهي من " نصف " وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف أي تعطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك (١) .

وكل شيء في عالم هذه القصائد يقوم على المساواة ،وقد تجسد هذا في لغتها فكل فعل ينسبه المنصف لنفسه ينسب مثله لعدوه يقول المفضل النكري :

فأَشبَعنا السِّباعَ وأَشبَعُوها ... فراحَتْ كلُّها تَئِقٌ يَفُوقُ
فأَبكينا نساءَهُمُ وأبكَوا ... نساءً ما يَسُوغُ لهنّ رِيقُ
قتلنَا الحارثَ الوضّاحَ مِنهمْ ... كأَنَّ سَوادَ لِمَّتِهِ العُذُوقُ
وَقد قَتَلُوا بهِ منَّا غلاماً ... كريماً لم تأَشَّبْهُ العُروقُ (٢)

ويقول عبد الشارق بن عبد العزى الجهني :

فجاؤا عارِضاً بَرِداً وَجِئنا ... كَمِثلِ السَّيلِ نركبُ وازِعَيْنا
فلمّا لم ندعْ قوساً وسهماً ... مشينَا نحوَهمْ ومشَوا إِلينا

= قال : علقوها وأثبتوها في خزائني ، فأما قول من قال أنها علقت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواه ، أنظر القصائد التسع المشهورات : ٦٨٢ * والرافعي يساير هذا الرأي وما عزوه تسميتها بالسموط الى حماد إلا من هذا الباب .

(١) لسان العرب : مادة " نصف " .
(٢) من قصيدة مطلعها : =

شَدَدنا شَدَّةً فَقَتلتُ منهمْ ثلاثةَ فتيةٍ وقتلتُ قَيْنَا
وشدُّوا شَدَّةً أُخرى فجرُّوا بأرجلِ مِثْلِهم ورمَوا جُوَينا (١)

وقد أكبر القدماء هذه الصفة التي تقوم عليها هذه القصائد لأن إعطاء الحق للغير عزيز متمنع ومن ثَمَّ سموا بها تلك القصائد .

وتساوقها في أخذ الاسم من الصفة القصائدُ المشوبات وهن "اللائى شابهن الإسلام والكفر" (٢)

ومعظم شعراء هذه القصائد من المخضرمين ،فكأنما ساوقت هذه القصائد حياتهم فنجدها تتحدث عن أمورإسلامية يأتي معها حديث عن أمور أخرى يقول النابغة :

وإن جاء أَمرٌ لا تطيقانِ دَفْعَهُ فَلاَ تَجْزعَا مِمَّا قَضَى اللّهُ واصبِرَا
أَلم تَرَيَاَ أَن الملامةَ نفعُها قليلٌ إذا ما الشيءُ ولَّى وأَدبَرا
تُهَيجُ البُكاءَ والنَّدامَةَ ثُمَّ لاَ تُغيِّرُ شيئاً غيرَ ما كان قُدِّرا
أتيتُ رسولَ الله إذ قام بالهدَى ويتلُو كتاباً كالمجرَّة نيِّرا

= ألم تر أن جيرتنا استقلوا فتيتنا ونيتهم فريق
المنصفات : جمع وتحقيق عبد المعين الملوحى : ص ١٣

(١) من قصيدة مطلعها :
الا حييت عنايا ردينا نحييها وإن كرمت علينا
المنصفات : جمع وتحقيق : عبد المعين الملوحى : ص ٤١

(٢) جمهرة أشعار العرب : ٩٨ .

ويقـول :

وما زلتُ أَسعى بينَ بابٍ ودارةٍ بنجرانَ حتّى خِفتُ أن أَتنصَّرا
لدى ملكٍ من آلِ جَفْنَةَ خالُـه وجدّاه من آلِ امرئ القيسِ أَزهـرا
يديرُ علينا كأسَـه وشِـواءَه مَنَاصِفُهُ والحضرميّ المُحَـبَّرا (١)

ويقـول القطامي عن قريش والرسول الذي ما بعده رسول :

أما قريشٌ فلن تلقاهمُ أبـداً إلاّ وهم خيرُ من يحفَى وينتَعِـلُ
إلاّ وهمْ جبلُ اللهِ الذي قصرتْ عنه الجبالُ فما سوّى به جَبَـلُ
قومٌ هُمُ ثبّتوا الإسـلامَ واتّبَعُـوا قولَ الرسولِ الذي ما بعدَه رسـلُ

ويقـول فى نفس القصـيدة :

وقد أبيتُ اذا ما شئتُ مالَ معي عـلى الفراشِ الضجيعُ الأغْيدُ الرَّبِلُ
وقد تُباكِرُنـى الصهباءُ ترفعُهـا إليَّ لَيِّنـةٌ أَطرافها ثَمِـلُ (٢)

وقصيـدة كعب بن زهير أدل على المقام فقد مدحت رسول الإسلام عليـه السلام وتغزلت بسعاد. وأخذ أسماء القصائد من الصفات طريق سلكته العرب فى تسمية القصائد كما سلكته فى تسمية الناس ، وقد عقد له ابن قتيبـة فصلا

---

(١) من قصيدة مطلعها :
خليلى عوجا ساعة وتهجرا ولو ما على ما أحدث الدهر أو ذرا
جمهرة أشعار العرب : ٦١٨.

(٢) من قصيدة مطلعها :
أني اهتديت لتسليم على دِمَنٍ بالغمر غيرهن الأعصر الأول
جمهرة أشعار العرب : ٦٤٣.

أسماء " المسمون بالصفات " في باب أصول أسماء الناس[1] .

ومن طرقهم في تسمية القصائد تسميتها بأسماء المطالع كقصيدة :"قفانبك" وبانت سعاد " ولعل هذه الطريقة تأتت لهم من قولهم : أنشدني القصيدة التي مطلعها كذا حتى أصبح المطلع علما تُسمّى به القصيدة .

وتسميتهم القصائد بأسماء مطالعها ينم عن اهتمامهم بها ،قال ابن رشيق :

" وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة وليتجنب " ألا " و " خليلي " و " قد " فلا يستكثر منها في ابتدائه فإنها من علامات الضعف والتكلان إلا للقدماء الذين جروا على عرق ، وعملوا على شاكلته ، وليجعله حلوا سهلا وفخما جزلا "[2]

وكما اهتموا بالمطالع اهتموا بالقوافي بل إن اهتمامهم بها أكثر يقول ابن جني :

" ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع وفي السجع كمثل ذلك ،نعم وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها والعناية بها أمس والحشد عليها أوفى وأهم "[3] ،ويروي الجاحظ عن شبيب بن شيبة

---

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة : ٥٩

(٢) العمدة لابن رشيق : جـ ١ : ٢١٨ .

(٣) الخصائص لابن جني : جـ ٢ : ٨٤ .

أنه يقول " الناس مُوَكَّلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكَّل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه " (١)

وقد سموا القصيدة قافية قال سحيم عبد بني الحسحاس :

أشارت بِمِدْرَاها وقالت لِتِرْبِها أعبدُ بَنِي الحَسْحَاسِ يُزْجِي القَوَافِيا (٢)

وقال غيره :

وَقَافِيَة مِثلِ حَدِّ السِّنَا نِ تَبقَى ويَذهَبُ من قَالَهَا (٣)

فلا عجب ان سموا القصائد بحروف قوافيها .

اللاميات في الشعر العربي :

واللاميات والميميات والرائيات وغيرها أسماء أطلقت على القصائد أخذاً من قوافيها . واللاميات من أكثرها ويشاركها هذه الكثرة الرائيات والميميات والنونيات والداليات والسينيات والعينيات ،ولعل ذلك يرجع إلى كثرة دوران هذه الحروف على الألسنة .

إلا أن اللاميات قد حظيت بما لم يحظ به غيرها من القصائد فصاحب الأغاني يقول : من لم يجمع من شعر كثيّر ثلاثين لامية فلم يجمع شعره " (٤)

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ : ج ١ : ١١٢ .
(٢) القوافي للقاضي أبي يعلى التنوخي : ٦٤ .
(٣) نفس المصدر : ٦٣ .
(٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٩ : ٥ .

فقد جعل الثلاثين لامية توازن شعر كثير كله .

وقد قال يجمع ولم يقل يروي أو يحفظ أو ما شاكلهما مما يساق مساقهما ولعل ذلك يرجع إلى أن اللام تؤول إلى اللّم ، " واللّم مصدر لمّ الشيء يلمّه لمّاً : جمعه وأصلحه . ولمّ الله شعثه يلمّه لمّاً جمع ما تفرق من أموره وأصلحه "(١) فكأن في اللاميات قدرة على الجمع ليست فيما عداها ..

ومع هذا فمن الخطأ تعميم الحكم على اللاميات فيقال إنها " تكشف عن مجالات إصلاح النفس وتهذيبها لأنها ترسم المثل الأعلى في أسمى وأنبل معانيه ،في رفاهية حس ، ورؤية صادقة وارتقاء بالفضيلة ، ومكارم الأخلاق والدعوة إلى الخير ، والتحلي بالقيم الانسانية ، وهي فضلا عن ذلك سجل أدبي وتاريخي حافل بتصوير البيئة العربية : أماكنها ومناخها وحيوانها ، وحياة أهلها ومعيشة سكانها وحالاتهم الخلقية والخلقية "(٢). لأنها لا تنفرد بذلك دون سائر القصائد ..

ومن أشهر اللاميات في الشعر العربي لامية امرئ القيس التي مطلعها :

ألا عِمْ صباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُرِ الخالي(٣)

---

(١) لسان العرب : مادة " لمم " .

(٢) اللاميات : محمد إبراهيم نصر : ٨ ، ٩ .

(٣) أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمرى : جـ ١ : ٤٥ .

ولا ميمية النابغة التي مطلعها :

دَعاكَ الهوى واستَجْهلتّكَ المنازلُ   وكيفَ تَصابِى المرْءِ والشَّيبُ شامِلُ(١)

ولا ميمية أحيحه بن الجُلّاح التي مطلعها :

صحوتُ عن الصِّبا والدَّهْرُ غـولُ   ونفسُ المرءِ آوِنـةً قَفُـولُ(٢)

ولا ميمية عنترة التي مطلعها :

طالَ الثَّواءُ على رُسُوم المـنزلِ   بين اللّكِيك وبين ذاتِ الحَرْمَلِ(٣)

ولا ميمية عدى بن وداع التي مطلعها :

كلَّفَنى القلبُ فلم أجْهَـلِ   عهدَ الصِّبا في السَّالف الأوّلِ(٤)

ولا ميمية النمر بن ثولب التي مطلعها :

تأبّدَ مِن أطلالِ عَمْرةَ مَأْسَـلُ   وقد أقفرتْ منها شَـرَاءُ فيذْبلُ(٥)

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين : جـ ١ : ٢٤٢

(٢) جمهرة أشعار العرب : ٥١٧

(٣) أشعار الشعراء الستة الجاهليين : جـ ٢ : ١٣٧ .

(٤) قصائد جاهلية نادرة : يحيى الجبوري : ٥١

(٥) جمهرة أشعار العرب : ٤١٩



ولامية زهير التي مطلعها :

صحا القلبُ عن سلمى وقد كاد لا يسلُو وأَقفَرَ من سلمى التَّعَانِيقُ فالثقلُ (١)

ولامية حسان بن ثابت رضى الله عنه التي مطلعها :

أَسَأَلتَ رسمَ الدارِ أَمْ لَمْ تَسأَلِ بينَ الجَوَابى فالبضيع فحومل (٢)

ولامية القُطامي التي مطلعها :

إنا مُحيُّوك فاسلَم أيها الطّللُ وإن بَلِيتَ وإن طَالت بك الطِّوَلُ (٣)

ولامية عبيد الراعي التي مطلعها :

ما بالُ دَفِّك بالفِراشِ مَذِيلا أَقَذًى بِعَينك أم أردت رَحِيْلا (٤)

ولامية عبدة بن الطبيب التي مطلعها :

هل حَبْلُ خولةَ بعدَ الهَجرِ موصولُ أَم أنت عنها بعيدُ الدَّار مشغولُ (٥)

ولامية ضابئ بن الحارث التي مطلعها :

غَشِيتُ لِلَيلى رسمَ دارٍ ومنزلاَ أَبى باللِّوى فالتِّبْرِ أَن يَتَحَوَّلاَ (٦)

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ج ١ : ٢٩٠

(٢) ديوان حسان بن ثابت تحقيق سيد حنفى : ١٢١

(٣) جمهرة أشعار العرب : ٦٤٣

(٤) نفس المصدر : ٧٢٩

(٥) المفضليات للمفضل الضبى : تحقيق عبد السلام هارون : ١٣٥

(٦) الأصمعيات للأصمعى تحقيق عبد السلام هارون : ١٧٩ .

ولامية السموأل :

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللُّؤمِ عرضُهُ　　فكلُّ رداءٍ يرتديْهِ جميــــلُ (١)

ولامية بَشَامة بن عمرو التي مطلعها :

هجرتَ أُمامــةَ هجـرا طَويــلاَ　　وحمَّلكَ النَّأْيُ عِبئــاً ثقيــلاَ (٢)

ولامية عبد قيس بن خُفَاف ومطلعها :

أَجُبيلُ إنّ أَباكَ كاربُ يومِــهِ　　فإذا دُعيتَ إلى العظائمِ فاعجَل (٣)

ولامية امرئ القيس بن جبلة السكوني ومطلعها :

إني على رغمِ الوشاةِ لَقَائــلُ　　سقى الجارتينِ العارضُ المتهَلِّلُ (٤)

ولامية المُزَرِّد التي مطلعها :

صَحَا القلبُ عن سلمى وملَّ العواذِلُ　　وما كادَ لأْياً حُبُّ سلمى يُزَايِلُ (٥)

ولامية ابن الوردي التي مطلعها :

اعتزل ذكر الأغاني والغَــزلْ　　وقلِ الفَصلَ وجانبْ منْ هَــزلْ (٦)

---

(١) ديوانا عروة بن الورد والسموأل : ٩٠ .

(٢) المفضليات : ٥٥ .

(٣) الأصمعيات : ٢٢٩ .

(٤) قصائد جاهلية نادرة : ص ١٣٩ .

(٥) المفضليات : ٩٣

(٦) جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي : جـ ٢ : ٤٣٥ .

وأخيرا لامية العرب التى يقوم عليها البحث :

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو : لماذا سميت لامية العرب بهذا الاسم دون غيرها من اللاميات ؟ ..

عمر بن الخطاب واللامية :

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه هو القائل : " الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه " (١) وهو القائل لأصحابه : " عليكم بديوانكم لا تضلوا " قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ،فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم " (٢)

وكان يقول لابنه : " يا بنى صل رحمك واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ، فانه من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يغترف أدبا " (٣)

و قد تمثل رضوان الله عليه بشعر عمارة بن الوليد حيث يقول :

أَسَرَّكِ لمَّا صُرِّعَ القومُ نَشْوةً خُروجِيَ منها سالما غيرَ غارِمِ
بريئاً ، كأنِّي قبلُ لم أكُ مِنهمُ؟ وليس الخِداعُ مرتضىً فى التَّنادُمِ

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٢٤ .

(٢) روح المعانى فى تفسير القرآن للألوسى : ج ١٤ : ١٥٢ .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ٤١ .

وذلك حين أتى بحلل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر بن أبى طالب ، ومحمد ابن أبى بكر الصديق ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن حاطب ، فدخل عليه زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة فقال : ائذن لهم يا غلام ـ فدعا بحلل فأخذ زيد أجودها حلة وقال : هذه لمحمد بن حاطب ، وكانت أمه عنده ، وهو من بنى لؤى فقال عمر رضى الله عنه أيهات أيهمات(١) .

وله رضوان الله عليه عدد من الموافقات مع ما نزل من الوحى كآيات تحريم الخمر(٢) والنهى عن الصلاة على المنافقين (٣) وآيتى فداء أسرى بدر (٤) وغيرها ..

---

(١) دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى : ١٣ .

(٢) عن أبى ميسرة قال : إن عمر كان حريصا على تحريم الخمر ، فكان يقول : اللهم بين لنا فى الخمر فإنها تذهب المال والعقل ، فنزل قوله تعالى : " يسألونك عن الخمر .... " فقال عمر : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية " يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون " فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت " يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر ... " مسند احمد ـ ١ : ٣٥

(٣) عند ما مات زعيم المنافقين ابن سلول قام الرسول (ص) ليصلى عليه فقام عمر وأخذ بثوب الرسول وقال يا رسول الله تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليهم فقال له " انما أخبرنى ربى فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر ... " قال عمر : انه منافق . فصلى عليه رسول الله (ص) فنزلت الآية " ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ... " صحيح مسلم ـ ٥ : ٢٦٠ .

(٤) كان يرى رضوان الله عليه أن تضرب أعناق أسرى بدر ، وكان أبو بكر يرى أخذ =

وهو الذى يقول عنه الرسول (ص): " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"(١)
وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل .
ولذلك لا عجب أن يكون قد ورد ذكر قصيدة الشنفرى أول ما ورد بهذا الاسم
فى كلامه رضي الله عنه حيث قال : " علموا أولادكم لامية العرب فانها تعلمهم
مكارم الأخلاق "(٢)

وقد أثبت ذلك صاحب الغيث المسجم ولم أجد أحداً-فيما أعلم-قد وقف
على ما ذكره من أمر هذه التسمية وإن كانت قد شاعت دون أن يعرف أنّ
صاحبها الفاروق رضوان الله عليه ..

وما كان رضوان الله عليه ليطلق عليها هذه التسمية لولا أن فيها ما ليس
فى سواها .. فمكارم الأخلاق كلمة جامعة " فالأخلاق في جملتها تنحو نحو
إقرار الحياة في أفقها الواسع الذي لا ضيق معه يقوم عليها أفراد من أولى
العزم والمروءة والمعرفة ، يشرقون بالدماء ويقلمون أظفار الموت والجوع
والمرض والأحزان ،فلا مكان فيها للضعيف الذى يسخرها لأهوائه ،ولا للجبان
الذي نضبت منه مادة العزيمة ولا للمحتال الذي يدور في فضاء شهواته "(٣)

= الفدية منهم ، وأخذ الرسول برأى أبى بكر فنزلت الآيتان " ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ... "

(١) أسد الغابة : ج٤/ ١٦٠ .
(٢) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم للصفدى : ج١/ ٢٧ .
(٣) عبقرية العربية للدكتور لطفى عبد البديع : ٨٩ .

ومن الحيف أن نحدّها ببعض الفضائل التي ربما تخلقها المتخلقون "بل هي إرادة ومغامرة ومروءة تؤول إلى السعة والاقتدار يتعالى صاحبها على ذاته وكأنه يقهر الضيق بالخروج منه إلى سعة العالم ليلقى الآخرين.. وكل مأثرة من المآثر وفضيلة من الفضائل مبناها على سعة الخلق وما يجرى مجراه..وكل رذيلة من الرذائل منشؤها ضيق الخلق "(١)

وقد جمعت لامية العرب المعاني الكبرى التي تُقوَّمُ بها حياة الانسان ويحكم عليه من خلالها بسعة الخلق أو ضيقة كالغنى والفقر والجوع والصبر .... وبهذا سميت لامية العرب دون سواها (٢)

الدكتور خليف والتسمية :

وقد غاب ذلك عن الدكتور خليف وراح فى غمرة دفاعه عن وجهة نظره التي تقوم على التشكيك في القصيدة وفي نسبتها إلى الشنفرى يشكك أيضا في هذه التسمية ويسميها لامية الصعاليك حيث يقول : والأمر الذي لا شك فيه هو أن خلفا قد تمثل أولاً حياة صعاليك العرب وخصائص شعرهم الفنية ثم مضى يصور هذه الحياة وهذا الفن في قصيدة رائعة حاول ما استطاع أن يجعلها صورة صادقة لما عرف عن شعرهم وأخبارهم حتى ليصح أن نطلق عليها

---

(١) عبقرية العربية : ٨٥

(٢) سأبسط هذا خلال المقارنة بين اللامية ولاميات الأمم الأخرى ، وسيتضح إن شاء الله خلال تحليلها كيف اعتدّت بمقدرة الانسان في مواجهة الصعاب .

لا لامية العرب وإنما لامية الصعاليك أو دنيا الصعاليك "(١)

وهو كلام يفتقر إلى الدليل ، وسأبين بطلانه عند ما أتعرض لموضوع نسبة القصيدة

---

(١) الشعراء الصعاليك للدكتور يوسف خليف : ١٨١

الفصل الثاني

النسبة

سارت هذه اللامية بين العرب ولم يشك أحد من العلماء الأوائل في نسبتها للشنفرى حتى جاء القالي وأورد خبرا في أماليه قال فيه "كان أبومحرز أعلم الناس بالشعر واللغة ،وأشعر الناس على مذاهب العرب . حدثني أبو بكر بن دريد أن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

أقيموا بني أمّي صدور مطيّكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

له ، وهي من المقدّمات في الحسن والفصاحة والطول ،فكان أقدر الناس على قافية(1)". وخبر القالي خبر مفرد ، وابن دريد لم يذكر ذلك في كتبه ولا أعلم لهذه الرواية سندا .

والقالي الذي أورد هذا الخبر في سياق الحديث عن خلف الأحمر تجاهله عندما أثبت القصيدة في ذيل الأمالي حيث قال : " قال الشنفرى(2)" وساق القصيدة كاملة ،ولم يعر ذلك الخبر أي اهتمام ليدل على عدم استقامته وأنه لم يسقه على سبيل التشكيك في نسبة اللامية إلى الشنفرى وإنما ساقه

---

(1) الأمالي لأبي على القالي : ج ١ ص ١٥٦ .

(2) ذيل الأمالي والنوادر لأبي على القالي : ٢٠٣ .

من باب إظهار مقدرة خلف وعلمه ، فكأن لامية العرب مثال من يقوله يصح أن يكون كل شعر لا يعيبه ، وقوله " وهي من المقدمات" يدل على ذلك ويؤكده ، ومع ذلك فقد تشبث المتأخرون - أمثال كرنكو وبلا شبير ، ويوسف خليف بهذا الخبر ،فراحوا يتهمون خلفا بصنع القصيدة ويسوقون الأدلة التي تؤكد زعمهم ،وقد بسط الدكتور خليف ذلك في بحثه عن الشعراء الصعاليك حيث قال بعد أن شك في رواية خلف الأحمر وصنيعه في الشعر: "ومعنى هذا أننا أمام مزيف بارع يعرف أساليب العرب في الشعر ويقلدها ثم يحملها عليهم ،فلا يكادون يميزونها ، وهنا موطن الخطر ،فلو لم يكن خلف على هذه البراعة لاستطاع القدماء ولاستطعنا نحن أيضا أن نعرف ما هو صحيح النسبة إلى أصحابه مما يرويه من الشعر وما هو منحول عليهم "(١) .

والدكتور خليف يناقض نفسه ،فهو يعترف بأن خلفا على درجة من البراعة جعلت القدماء وجعلته لا يعرفون صحيح النسبة من غيره مما يرويه فكيف عرفوا إذن أن هذه اللامية غير صحيحة النسبة ما داموا لا يستطيعون المعرفة ؟! وهو في هذه الحالة بين أمرين : فإما أن يذهب إلى أن

---

(١) الشعراء الصعاليك : ص ١٧٥ .

القدماء قالوا بما لا يعرفون ، وإما أن تكون براءة خلف مزعومة لا تفضي إلى ما توهموه . وكلا الأمرين يؤدى إلى نتيجة واحدة هى ما استقر عند الأوائل من أن الشنفرى هو قائل لامية العرب .

وخلف هذا قال فيه ابن سلام : " خلف بن حيان ، أبو محرز وهو خلف الأحمر - أجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقه لسانا كنا لا نبالى إذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا ألا نسمعه من صاحبه "(١) وليس بعد كلام ابن سلام كلام إلا أن الدكتور خليف يبتره فيورد الجزء الذى يتمشى مع هدفه وهو قوله " أجمع أصحابنا أن الأحمر كان أفرس الناس ببيت شعر "(٢) ويسقط الباقى ، وابن سلام هو من هو ثقة ، وهو وإن كان بصريا إلا أن بصريته ليست بحيث تملى عليه رأيا لمجرد الهوى والتعصب بل إن ثقته حتمت عليه أن يعترف بعلم علماء من غير البصرة حيث قال : " وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفى "(٣) فلم تمنعه المنافسة بين المدرستين من الاعتراف بفضل المفضل

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ص ٢٣ .

(٢) الشعراء الصعاليك : ص ١٧٥ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ص ٢٣ .

وعلمه ،ولو لزم الصمت عن هذا الاعتراف لما ألزمه أحد بـه .

والمفضل الضبى هو الذى أخذ عليه خلف الأحمر ثلاث سقطات فى مجلس واحد ،قال خلف " أخذت على المفضل الضبى فى مجلس واحد ثلاث سقطات أنشد لامرئ القيس :

نَمَسُّ بأعرافِ الجياد أكُفَّنا إذا نحن قمنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ

فقلت له : عافاك الله ! إنما هو نَمُشّ أي نمسح ، ومنه سمى منديل الغمر مشوشا ، وأنشد للمخبل السعدى :

وإذا ألمّ خيالُها طرقتْ عيني فماءُ شئُونِها سَجْمُ

فقلت عافاك الله ! إنما هو طرفت ، وأنشد للأعشى :

ساعةً أكبر النهار كما شدّ مُحِيل لَبُونه إعتاما

فقلت عافاك الله ! إنما هو مخيل بالخاء المعجمة (وهو الذى) رأى خال السحابة فأُشفق منها على بهمه فشدها "(١)

وهذه السقطات وإن كانت لا تقلل من شأن المفضل فإنها تدل على ما أكده ابن سلام من ثقة رواية خلف .

---

(١) الخصائص : جـ ٣ ص ٢٨٧ .

وقـال فيـه الأصمعى " كأنما جعل علم لغة ابنى نزار ، ومن كان من بـنى قـحطان على لغة ابني نزار بين جوانح خلف الأحمر بمعانيهـا " (١)

وقال فيه عيسى بن اسماعيل " سمعت الأصمعى ـ وذكر خلفا الأحمر أبا محرز ـ فقال : " ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الأحمر ، فقيل له : كيف وأنـت حي ، فقال : إن خلفا كان يحسن جميعه وما أحسن منه إلا الحواشى " (٢)

ومع هذا فإن للمسألة وجهـا آخر يتصل بدور الرواة وعملهم فى رواية الشعر ، قال الأصمعى : قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت قوله :

فيالَكَ يوماً خـيرُه قبـلَ شرِّه تغيَّبَ واشيه وأقصـرَ باطلُـه

فقال خلف : ويله ، وما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقال الأصمعى : هكذا قرأته على أبى عمرو ، فقال : صدقت وكذا قاله جرير ، وكان قليـل التنقيـح مشـرد اللفظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع . فقال الأصمعى : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال الأجـود له لو قال : فيالك يوما خيره دون شـره . فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعـار القدماء " (٣)

---

(١) طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى : ص ١٧٩ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٨٠ .

(٣) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى ص ١١٣/١١٤ .

فكأنما كان للشعر العربي مستوى فني جمالي . إذا ما نزل عنه صححه الرواة الذين كان لديهم الإلمام الكافي بهياكل الفكر الشعرى مما سوّغ لهم التصرف فيه ،قال رجل من هذيل : " جئت الفرزدق ودخلت على رواته فوجدتهم يعدلون ما انحرف من شعره ،فأخذت من شعره ما أردت ... ثم أتيت جريرا وجئت رواته وهم يقوّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد فأخذت ما أردت ".(١)

فما تعرض له الرواة من تجريح كان منشؤه سوء الفهم لدورهم ، فهو لا يقدح فى الشعر وقد كان من دواعيه ما ذكره ابن جنى حيث قال:"فإن قلت فإنا نجد علماء هذا الشأن من البلديين والمتحلين به فى المصريين ،كثيرا ما يهجن بعضهم بعضا ولا يترك له فى ذلك سماء ولا أرضا . قيل له : هذا أول دليل على كرم هذا الأمر ونزاهة هذا العلم ، ألا ترى أنه اذا سبقت إلى أحدهم ظنة أو توجهت نحوه شبهة سبّ بها وبرئ إلى الله منها لمكانها ولعل أكثر من يرمى بسقطة فى رواية ، أو غمز فى حكاية ، محمي جانب الصدق فيها ،برئ عند الله ذكره من تبعتها ؛ لكن أخذت عليه لاعتنان شبهة عرضت له أو لمن أخذ عنه، وإما لأن ثاليه ومتعيبه مقصر عن مغزاه مغضوض الطرف دون مداه ، وقد تعرض الشبه للفريقين وتعترض على كلتا

---

(١) الأغانى : جـ٤ :٢٥٩، ٢٦٠ ، ٢٦١ .

الطريقتين فلولا أن هذا العلم فى نفوس أهله والمتفيئين بظله كريم الطرفين جَـدد السمتين لما تسابوا بالهجنة فيه ولا تنابزوا بالألقاب فى تحصين فروجه ونواحيه ليطووا ثوبه على أعدل غروره ومطاويه "(١)

ومما استند إليه المشككون فى صحة نسبه القصيدة للشنفرى ما ذهب إليه كرنكو حين قال : والظاهر أن العلماء الأولين لم يكن لديهم علم بهذه القصيدة قط،فابن قتيبه لم يذكرها فى كتابه عن الشعراء كما لا توجد أية إشارة إليها فى الأخبار الواردة عن هذا الشاعر فى كتاب الأغانى "(٢).

وذهب إلى مثل ذلك بلاشيير حين قال : " إن اللامية المسماة لامية العرب قصيدة مصنوعة ،على أنها جديرة بالاعتبار لجزالتها وعنفوانها ، بيد أنه لم يشر إلى وجودها إلا فى بداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، ويظهر أن صانعها خلف الأحمر "(٣)

وردد ذلك الدكتور خليف فقال : " فإذا أضفنا إلى هذا أن أبا الفرج قد أغفل هذه اللامية فى ترجمته للشنفرى إغفالا تاما ولم يشر إليها أية إشارة على كثرة ما روى من شعره،كما فعل مع اللامية الأولى فى ترجمته لتأبط

---

(١) الخصائص : جـ ٣ ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : جـ ١٣ ص ٣٩٥ .

(٣) تاريخ الأدب العربى لبلاشيير : ص ٣١٦ .

شـرا ،وأن لسان العرب ـعلى كثرة ما نقـل من شعر الصعاليك ـلم يرد فيــه أي ذكر ولا أي بيت منها بدأت كفـة الشك في صحة نسبتها إلى الشـنـفـرى ترجح "(١)

أما القول بأن العلماء الأولين لم يكن لهم بها علم ولم يرد ما يشـــير إلى وجودها إلا في القرن الرابع فيخطّؤه ذكر ابن طيفور لها في كتابــه المنثور والمنظـوم حين قال " ومن القصائد المختارة المعاني التي لا نظير لها في أشعار ، وقد جمع صاحبها أوصافا ومعاني أحسنها وفات النـاس جميعها فيها إجادة وشجاعـــة قصيــدة الشنـفــرى "(٢) وأوردها كاملة وابن طيفور توفي سنة ٢٨٠ هـ(٣) .

وذكر الأصمعي أيضا أحد أبياتها حين قال " كنت بين يدى الرشيــد في يوم قر إذ دخل سعيد بن سلم فقال يا سعيد ، أنشدني في الـبرد فأنشده لمرة بن قحطان السعدى :

وليلـــةٍ من جمادَى ذات أنديــةٍ لا يبصرُ الكلبُ من ظلمائِها الطنبا

----

(١) الشعراء الصعاليك : ص ١٨٠ .

(٢) اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور ـ الجزء الثاني عشر مخطوط صفحة ١٥٤

لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتى يلفَّ على خيشومِهِ الذَّنَبَا

فقال غير هذا فأنشدته أنا :

وليلةٍ يصطلي بالفرثِ جازرها .... الأبيات ...

فقال أريد أبلغ من هذا ،فأنشدته :

وليلة قرٍّ يصطلي القوسَ ربُّهـا وأقطعَه اللاتى بها يتنبَّـل

فقال : يا أصمعى : حسبك ، ما بعد هذا شيء"(١)

وقد ذكرهما غيرهما من العلماء ممن تأخر عنهما ،فأبو العلاء ذكرها في رسالة الغفران حين قال : " وسأل الشنفرى الأزدي فألفاه قليل التشكي والتألم لما هو فيه فيقول : إني لا أراك قلقا قلق أصحابك فيقول أجل ، إني قلت بيتا في الدار الخادعة فأنا أتأدب به حبيريّ الدهر وذلك قولي :

غوى فغوت ثم ارعوى بعد فارعوت وللصَّبر إن لم ينفعِ الشَّكْوُ أجمل (٢)

وخبر أبي علاء مايعتقدّ به حيث أنه لم يقم برحلته تلك إلاّ في سبيل حل إشكالات تركها من رحل لهم ،فلو شك في نسبة القصيدة لسأل الشنفرى كما سأل آدم وتأبط شراعن صحة شعر ينسب لهما، فنفاه الأول ولم يجبه الثاني بطائل (٣) .

---

(١) نور القبس لليغموري : ص ١٣٤.

(٢) رسالة الغفران لابى العلاء المعرى : ٣٥٨.

(٣) نفس المصدر ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

ومع ذلك فلو لم يذكرها ابن طيفور وغيره مما يؤكد علم الأوائل بها لما كان إغفال ذكرها دليلا على عدم صحتها ، لأن كتب الاختيارات التى تُعنى بذكر القصائد قائمة على فكرة النقص الإنسانى التى تستدعى المحافظة على ما يخشى ضياعه ، فالذى يختار ينتقي ما ليس شائعا ويخاف أن ينساه الناس يقول الخالديان " هذه القصيدة[1] كثيرة المحاسن وقد ذكرنا فيهما من النظائر فى مواضع أخر ، وبعد فليس فيها معنى يقل مثله فى الشعر ، بل أكثر معانيها فى أيدى الناس مشتهر ، وليس سبيلنا فى المعنى إذا كان كثيرا أن نأتي به ، وإنما نأتى بما قلّ ولم يكن كثيرا أو معنى خفي فنبينه "(٢)

وأما أن القصيدة لم تذكر فى الشعر والشعراء ولا فى الأغانى فلا يصح أن ينهض ذلك دليلا على الشك فى نسبتها لأنهما لم يلتزما بذكر كل ما ورد من شعر شاعر يترجمان له ، ومع ذلك فالشعر والشعراء لم يترجم للشنفرى

أما لسان العرب - وإن لم يصح عدم ذكره لها دليلا - فقد ذكر أربعة أبيات من القصيدة هي قوله :

---

(١) يعنى لامية العرب .

(٢) الأشباه والنظائر للخالديين : جـ ٢ ص ١٧ .

أو الخشرمُ المبعوثُ حثحثَ دبرَه   محا بيضُ أرساهنَّ شارٍ معسِّلُ (١)

وقوله :

ولي دونكم أهلون سيدٌ عملّسٌ   وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ (٢)

وقوله :

ولا جبّأٍ أكهى مُربٍّ بعرسه   يطالعُها في شأنه كيفَ يفعَلُ (٣)

وقوله :

فإن يكُ من جنٍّ لأبرحُ طارقاً   وإنْ يكُ إنساً ماكها الإنسُ تفعلُ (٤)

وقد نسب هذه الأبيات للشنفرى دون تردد على حين ~~أ~~ بجده مترددا بشأن اللامية الأخرى (٥) فينسبها مرة لتأبط شرا ومرة للشنفرى (٦) .

ومما عُوِّل عليه في الشك في صحة نسبة القصيدة ما ذهب إليه الدكتور خليف من " قلة الاضطراب في رواية ألفاظها وفي ترتيب أبياتها ، وهي ظاهرة ليست مألوفة في شعر الصعاليك ،فقد لاحظنا في أول هذا الفصل أن ممايميز

---

(١) لسان العرب - مادة " حبض "

(٢) نفس المصدر - مادة " عرف ".

(٣) نفس المصدر - مادة " كها " .

(٤) نفس المصدر - مادة " ها " .

(٥) ومطلعها : إن بالشِّعب الذي دون سلع   لقتيلا دمه ما يطل

(٦) لسان العرب مادة " سلع ".

شعر الصعاليك الاضطراب فى رواية ألفاظه وترتيب أبياته "(١) .

وهذا الدليل لا يستقيم لأننا وجدنا اضطرابا كثيرا فى روايات القصيدة فلو اعتمدنا روايتى ابن طيفور والقالى لألفينا اختلافا بينهما فى الأبيات التالية : ١، ٢، ٤، ٦، ١٢، ١٣، ٢٣، ٢٦، ٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٩، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٥، ٦٧ .

فثلاثون بيتا يقع فيها الاضطراب كافية لإثباته ، ليس هذا فحسب بل نجد فى بعض الأبيات أكثر من اضطراب ، فالبيت التالى أورده ابن طيفور كما يلى :

فأغضى وأغضتْ وابتَسَى وابتَسَتْ بِهِ ... مراميلُ عزَّاها وعزَّتْه مرمِل

وأورده القالى كما يلى :

وأغضَى وأغضَتْ واتَّسى واتَّست بـه ... أراملُ عزَّاهـا وعزَّتْه أرمَـل(٢)

وأما بالنسبة لترتيب الأبيات فإننا نجد اختلافا بين أولى الروايات التى وصلت إلينا - وهى رواية ابن طيفور - وبين الروايات الأخرى ، فالزمخشرى والعكبرى أوردا البيت السادس عشر موضع الخامس عشر ، والقالى لم يورد قوله :

ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كأنَّ فُؤادَه ... يظلُّ به المكَّاءُ يعلُو ويسفُلُ(٣)

---

(١) الشعراء الصعاليك : ص ١٨٠

(٢) راجع نص القصيدة فى آخر الرسالة .

(٣) ذيل الأمالى والنوادر : ٢٠٤ .

والرواية الأولى لم يرد فيها قوله :

ولكنَّ نفساً مرّة لا تقيمُ بـي   على الذام إلا ريثما أتحوّل (١)

فى حين أن القالى والزمخشرى والعكبرى أوردوه .

والخالديان أوردا سبعة وعشرين بيتا من القصيدة من بينها قوله :

ولي صاحب من دونهم لا يخوننى   إذا التبث كفّي به يتأكّلُ (٢)

وهو لم يرد عند غيرهما ..

ومع ذلك فالاضطراب فى الألفاظ والاختلاف فى ترتيب الأبيات داخل في طبيعة الشعر العربى ولا يقتصر على شعر الصعاليك ، حيث أنه وصلنا عن طريق الرواية الشفوية التى تحتمل التغيير والتبديل ،وقد تقدم القول فى صنيع الرواة بالشعر القديم .

وأما القول بأن هذه اللامية طويلة طولا ليس مألوفا فى شعر الصعاليك الذى كان شعر مقطوعات ، وهذه اللامية تبلغ ثمانية وستين بيتا ولا تزيد أطول قصيدة فى ديوان الصعاليك - وهى تائيه الشنفرى المفضلية - على خمسة وثلاثين بيتا فى بعض المصادر (٣) فلا ينهض دليلا دليلا يسوّغ الشك

---

(١) راجع نص القصيدة فى آخر الرسالة

(٢) الاشباه والنظائر للخالدين : جـ ٢ ص ١٥ .

(٣) الشعراء الصعاليك : ص ١٨٠ .

فيها لأن هذه الصفة ليست ناشئة عن ضعف ملكة الصعاليك الشعرية بحيث يعيون بالشعر ولا يتجاوزون شعر المقطوعات وإنما منشؤها أن هذه المقطوعات جزء من قصائد ضاعت ، وهذا لا يمنع أن يكون قد وصلتنا قصائد لهم، وشواهد ذلك كثيرة فقد رويت لمالك بن حريم عينية مطلعها :

جَزِعْتَ ولم تجزعْ من الشَّيْبِ مَجزعا وقد فاتَ ربْعِيُّ الشّبابِ فودّعا

في أربعين بيتا (١) ، ورويت لعروة بن الورد رائية مطلعها :

أَقِلِّي عليَّ اللَّومَ يابنةَ مُنذرِ ونامي ، فإنْ لم تشتَهي النَّومَ فاسهري

في سبعة وعشرين بيتا (٢) ، ورويت لتأبط شرا قافية مطلعها :

يا عيدُ مالَكَ من شَوْقٍ وإيْرَاقِ ومَرِّ طَيْفٍ على الأَهوالِ طَرَّاقِ

في ستة وعشرين بيتا (٣) ، وروى لعبدة بن الطبيب - الصعلوك المخضرم - عدة قصائد منها لاميته التي مطلعها :

هلْ حبلُ خولةَ بعدَ الهجرموصولُ أم أنتَ عنها بعيدُ الدّارِ مشغولُ

وهي في واحد وثمانين بيتا (٤) ، وروى لعمرو بن براق لامية مطلعها :

---

(١) الأصمعيات : ص ٦٢ .
(٢) نفس المصدر : ص ٤٣ .
(٣) المفضليات : ص ٢٧ .
(٤) نفس المصدر : ص ١٣٥ .

عَرَفْتَ من الكُنودِ ببَطْنِ ضِيمٍ فَجَوٍّ بشَائمٍ طَلَلاً مُحِيلاَ

وهي في خمسة وعشرين بيتا (١) ،وروى لأبي الطمحان القيني لامية مطلعها :

لمن طَلَلٌ عَافٍ بذاتِ السَّلاسلِ كَرجعِ الوشومِ في ظُهورِ الأناملِ

وهي في ثلاثة وأربعين بيتا (٢) .

وللشنفرى قصيدتان إحداهما التائية وهي مفضلية وأخرى في عشرين بيتا مطلعها :

ومرقبةٍ عنقاءَ يقصُرُ دونَها أخو الضِّروةِ الرجْلُ الحَفِيُّ المخفف (٣)

فهل نشك في هذه القصائد أيضا ؟!

وكان مما عوّل عليه الدكتور خليف وعزاه إلى كرنكو ،قلة أسماء المواضع والأشخاص في هذه القصيدة ، وهذه ظاهرة ليست طبيعية في قصائد الشعر المبكرة (٤) والمتشككون لم يحددوا الكمية من أسماء المواضع والأشخاص التي بموجبها تصح نسبة القصيدة إلى الشنفرى .

وهذا الكلام قد عفى عليه البحث الحديث الذى يذهب إلى أن التجربة الشعرية أكبر من أن يفرض عليها مالا يستوعبه عالم القصيدة الشعرى ، فأسماء المواضع والأشخاص ليست إلا حقائق شعرية تتظاهر مع غيرها من الحقائق

---

(١) قصائد جاهلية نادرة : ص ١٠٢ .

(٢) نفس المصدر : ص ٢١٢ .

(٣) الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمني : ص ٣٧ .

(٤) الشعراء الصعاليك : ص ١٨٠ .

التى يتكون منها عالم القصيدة الشعرى ، فمن الممكن أن تأتى في أي قصيدة يتطلبها عالمها الشعرى سواء كانت مبكرة أم متأخرة .

ومن العجب أن الدكتور خليف يستمد غالب أدلته من كون لامية العرب تخالف خصائص شعر الصعاليك فى حين أنه يقول : « والأمر الذى لا شك فيه هو أن خلفا قد تمثل أولا حياة صعاليك العرب وخصائص شعرهم الفنية ثم مضى يصور هذه الحياة وهذا الفن فى قصيدة رائعة ، حاول ما استطاع أن يجعلها صورة صادقة " لما عَرَف عن شعرهم وأخبارهم "[1] فتارة يؤكد أنها تخالف شعر الصعاليك وأُخرى تكون صورة صادقة له .

على أن الخصائص التى ذكرها الدكتور خليف ليميِّز بها شعر الصعاليك عما عداه ليست إلا خصائص شكلية أشبه ما تكون بقوالب جاهزة توضع لشعر الصعاليك بعامة وتوضع لكل شاعر منهم على أنها خصائص لشعره [2] ، فهى أعجز عن أن تنفذ إلى روح الشعر وأن تبرز مقوماته .

والحقيقة الكبرى التى تميز شعر الصعاليك هي أن شعرهم كحياتهم ، فكما أن حياتهم صراع مع الإنسان والحيوان والطبيعة كذلك شعرهم الذي جسد هذا الصراع الذى تناثرت معانيه من خوف وتشاؤم وبرد وحر وجوع وفردية

---

(١) الشعراء الصعاليك : ص ١٨١ .

(٢) انظر الخصائص التى وضعها كل من د . محمود أبو ناجى لشعر الشنفرى وأمين النجار لشعر عروة بن الورد .

وهذه الحقيقة نجدها في لامية العرب كما نجدها في قصائد لصعاليك آخرين ، فعمرو بن براق يقول :

إِذا الليلُ أدجى واسجهرّت نجومُه ... وصاحَ من الإفراطِ يومٌ جواثِمُ

ومالَ بأصحابِ الكرى غالباتُه ... فإني على أمرِ الغوايةِ حازمُ (١)

فالليل المظلم واليوم الجاثم والنجوم رموز يقيم فيها الشاعر وجوده يتردد نظيرها عند غيره من الشعراء كقول أبي خراش الهذلي :

وإني لأثوي الجوعَ حتّى يملَّني ... فأحيا ولم تدنَسْ ثيابي ولا جِرمي

وأصطبحُ الماءَ القَراحَ فأكتفي ... إذا الزادُ أضحى للمزلَّجِ ذا طَعْمِ

أردُّ شجاعَ البطنِ قد تعلمينه ... وأوثر غيري من عِيالكِ بالطُّعمِ

مخافةَ أن أحيا برغمٍ وذلّةٍ ... فلَلْمَوتُ خيرٌ من حياةٍ على رُغمِ (٢)

وقول تأبط شرا :

وقُلّةٍ كَسِنانِ الرُّمحِ بارزةٍ ... ضَحْيانَةٍ في شُهورِ الصّيفِ مِحراقِ

بادرتُ قُنّتَها صَحبي وما كَسِلوا ... حتّى نَميتُ إليها بعدَ إشراقِ (٣)

وتتردد عند الشنفرى في غير اللامية حين يقول :

ومرقبةٍ عنقاءَ يقصُرُ دونَها ... أخو الضِّروةِ الرِّجلُ الحَفِيُّ المخفَّفُ

نَعبتُ إلى أدنى ذُراها وقد دنا ... من الليل ملتفُّ الحديقةِ أسْدَفُ (٤)

---

(١) الأغاني ج ٢١ : ١٩٩

(٢) نفس المصدر ج ٢١ : ٢٣٩

(٣) المفضليات : ص ٢٩/٣٠

(٤) الطرائف الأدبية : ص ٣٧

وحين يقول :

وإنّكِ لو تدرين أن رُبَّ مَشْرَبٍ   مَخُوفٍ كداءِ البطنِ أو هُوَ أخْوَفُ

وردتُ بمأثورٍ يَمانٍ وضالةٍ   تخيَّرتُها مما أَرِيشُ وأَرصُفُ (١)

وحياة الصعاليك متشابهة وشعرهم يسقى من ماء واحد ، وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى التردد فى نسبة بعض القصائد إلى قائليها كما هو الحال فى اللامية التى مطلعها :

إن بالشِّعبِ الذي دونَ سَلْعٍ   لقتيلاً دمُه ما يُطَلُّ

فمرة تنسب لتأبط شرا ومرة تنسب للشنفرى .

وتأبط شرا والشنفرى ربيبا حياة واحدة فكثيرا ما كانا يغيران معا ، كما كان تأبط شرا يكرم الشنفرى ويدنيه (٢) فلا عجب أن يصدرا عن روح شعرية واحدة تظهر فى المعانى المتشابهة فى شعريهما كقول تأبط شرا :

إِنِّي زعيمٌ لئن لم تتركوا عَذَلِي   أن يسأَلَ الحىُّ عنِّي أهلَ آفاقِ

أن يسألَ القوم عنّي أهلَ معرفةٍ   فلا يخبرهم عن ثابتٍ لاقِ (٣)

وقول الشنفرى :

أقيموا بني أمي صدور مطيِّكم   فإني إلى قومٍ سواكم لأُميلُ

ومع هذا التشابه فإن أحدا من العلماء الأوائل لم ينسب لامية العرب إلى تأبط

---

(١) الطرائف الأدبية : ص ٣٨
(٢) شرح المفضليات لابن الأنبارى : ص ١٩٦ .
(٣) المفضليات : ص ٣٠ .

شرا أو غيره من الصعاليك، ولا عجب فى ذلك فهذا التشابه لا ينفي أن تكون لامية العرب أقرب إلى معجم الشنفرى الشعرى من غيره ، فتركيب الجملة فى قوله من اللاميـة :

وَخَرقٍ كظهر التُّرسِ قفرٍ قطعته ... بعاملتين ظهرُه ليسَ يُعمَلُ

هو هو فى قوله :

ومستبسلٍ ضافي القميصِ ضممتُه ... بأزرقَ لا نِكسٍ ولا متعوِّجُ (١)

وفى قوله :

ونعلٍ كأشلاء السُّمانَى تركتُها ... على جَنبِ مورٍ كالنَّجيزةِ أغبَرَا (٢)

وفى قوله :

وباضعةٍ حمرِ القِسيِّ بعثتُها ... ومن يغزُ يغنمْ مَرَّةً ويُشَمَّتِ (٣)

وقوله من اللامية :

وليلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها ... وأقطعَه اللاتى بها يتنبَّلُ

دعست على غطشٍ وبغشٍ وصحبتى ... سعارٌ وإرزيزٌ ووجرٌ وأفكلُ

وقوله منها أيضا :

ويومٍ من الشِّعرى يذوبُ لؤابُه ... أفاعيه فى رمضائِه تتململُ

نصبت له وجهي ولا كِنَّ دونَه ... ولا سترَ إلَّا الأَتحميُّ المرعبلُ

---

(١) الطرائف الأدبية : ص ٣٤

(٢) نفس المرجع : ص ٣٥

(٣) المفضليات : ص ١١٠

هـو هـو في قـوله :

ومرقبـةٍ عنقاءَ يقصُـرُ دونَهـا   أخوا الضروة الرِّجلُ الحَفِيُّ المخفَّفُ(١)

نعبتُ إلى أدنى ذُراها وقد دنا   من اللَّيلِ ملتف الحديقة أسـدف

وكما تتزاحم الأفعال في اللاميــة :

وأغضى وأغضت واتّسى واتّست به   مراميـلُ عـزَّاهـا وعـزَّتـه مرمِـلُ

شَكَا وشكت ثمَّ ارعوى بعدُ وارعوتْ   وللصَّبرُ إن لم ينفعِ الشكو أجْمَـلُ

تتزاحم في التائيــة :

بِعينيَّ ما أمستْ فباتتْ فأصبحتْ   فقضَّتْ أُموراً فاستقلَّتْ فولــت

فدقَّت وجلَّت واسبكَرَّتْ وأكملَت   فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسْنِ جُنَّتِ(٢)

ووصف القسي في الفائية يشبه وصفها في اللامية ،يقول في اللاميــة :

إذا زلَّ عنها السَّهم حنَّت كأنَّهـا   مرزَّأةٌ ثكلى تُـرِنُّ وتعـــوِلُ

ويقول في الفائيــــة :

وحمراءُ من نبـعٍ أبيٍّ ظهـيرةٌ   تُرِنُّ كإِرنان الشجيِّ وتَهتِـفُ(٣)

أما ما يذهب إليه الدكتور خليف من تمثل خلف لحياة الصعاليك وشعرهـــم فينفيه شعر خلف الأحمر ، ومما ثبت له :

----

(١) الطرائف الأدبية : ص ٣٧ .

(٢) المفضليات : ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) الطرائف الأدبية : ص ٣٨ .

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيَّا ... على ما كان من مطل وبخل

هُمُ جمعُوا النِّعالَ وأحرزُوها ... وسدُّوا دونَها باباً بِقُفْلِ

اذا أهديتُ فاكهةً وشاة ... وعَشْرَ دجائجٍ بعثُوا بِنَعْلِ

ومِسواكَيْنِ طولهما ذِراعٌ ... وعشرٍ من رديِّ المقلِ خَشْلِ

أناسٌ تائهون لهم رُواءٌ ... تَغِيمُ سماؤهم من غيرِ وَبْلِ

إذا انتَسَبُوا فَفرعٌ من قُريشٍ ... ولكنَّ الفعالَ فعالُ عُكْلِ(١)

وقوله :

يرونَ الموتَ دوني إن رأوْني ... وَصِلَّ صَفاً لِنَابَيْهِ ذُبَابُ

من المُتَحَرِّماتِ بِكَهْفِ طَودٍ ... حَرَامٍ ما يُرَامُ لـه جَنَابُ

أبى الحاوُونَ أن يطأوا حِماهُ ... ولا تَسرِي بعَقوتِه الذِّئابُ

كأنَّ دماً أُميرَ على قَراهُ ... وَقَطْرَاناً أُميرَ به كُبَابُ

إذا ما استجرسَ الأصواتَ أَبدى ... لساناً دونه الموتُ الضُّبَابُ

إذا ما الليل ألبسه دجاه ... سرى أصمى تصيح له الشعاب(٢)

وقوله :

له حَنجرٌ رَحْبٌ وقولٌ منقّحٌ ... وفَصْلُ خطابٍ ليس فيه تشادقُ

إذا كان صوتُ المرءِ خلفَ لَهاتِه ... وأنْحَى بأشداقٍ لهنَّ شَقَاشِقُ

وقبقَبَ يحكِي مُقْرَماً في هِبابِه ... فليس بمسبوقٍ ولا هو سابقُ

---

(١) الحيوان للجاحظ : جـ ٥ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢) نفس المصدر : جـ ٤ : ٢٧٩ .

(٣) البيان والتبيين : ١/١٢٩ .

وقوله :

لنا صاحب مولع بالخلاف   كثير الخطاء قليل الصواب

ألج لجاجا من الخنفساء   وأزهى اذا ما مشى من غراب (١)

وشتان بين هذا الشعر وشعر الصعاليك :

واستشهاد النحويين بأبيات اللامية ليس بعده دليل ، فهم إنما يحتجون بما صح من الشعر ويطرحون ما عداه ، فقوله :

ولكن نفساً حرّةً لا تقيمُ بي   على الخسفِ إلاّ ريثما أتحوّل

من شواهد ابن جنى فى المنصف (٢) .

وقوله :

دعست على غطّش وبغّش وصحبتي   سعارٌ وإرزيزٌ ووَجْرٌ وأفكُل

من شواهد ابن جنى فى المنصف أيضا (٣)

---

(١) الحيوان ج ٣ : ٥٠٠

(٢) المنصف لابن جنى ج ٣ : ٤٥

(٣) نفس المصدر ج ٣ : ١٥

وقـوله :

فأيمت نسواناً وأيتمت إِلـدةً   وعدتُ كما أبدأت والليلُ أَليـلُ

من شواهد ابن جنى فى المنصف أيضا (١) .

هذا بالاضافة إلى أحد عشر شاهدا آخر أثبتها صاحب معجم شواهـد النحو الشعريـة وأرقامها : ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ ، ١٨٨٢ ، ١٨٨٤ / ١٩٠٢ / ١٩٠٩ ، ١٩٢٣ ، ١٩٧٨ / ٢٠١٣ / ٢٠١٤ / ٢٠٢٠ .(٢)

---

(١) المنصف لابن جنى جـ ١ : ١٩٨ .

(٢) راجع معجم شواهد النحو الشعرية للدكتور حنا حداد ،

الفصل الثالث

اللامية عند الشراح والدارسين المعاصرين

المبحث الأول

اللامية عند الشراح

استمرت حركة شروح اللامية من القرن الثالث الهجرى على يد المبرد وشعلب إلى نهاية القرن الثالث عشر على يد ابن التلاميد . وطيلة هذه القرون قلّ أن نجد قرنا يخلو من شرح لها بل كان في بعضها شروح عدة حتى زادت شروحها على العشرين وهي :

شرح أبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، وقد جاز على هذا الشرح ما جاز على اللامية من شك فى النسبة حيث تردد بروكلمان فى نسبته للمبرد وقال : " لعله لثعلب "(١) وجزم بعده سزكين بنسبته لثعلب حين قال : " وهو فى الواقع لأحمد بن يحيى ثعلب "(٢) .

والسبب فى هذا التردد وفى هذا الجزم يعود إلى ما ورد فى هذا الشرح من إشارة لثعلب فى موضعين منه ، أولهما " والذى قرأناه على أبى العباس احمد ابن يحيى سقبانها "(٣) والآخر " وأحاطة فيما ذكر أحمد بن يحيى قبيلة من الأزد "(٤)

---

(١) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : ج ١ : ١٠٧

(٢) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين : المجلد الثانى - الجزء الثانى : ٥٢

(٣) شرح لامية العرب للمبرد : ٢٦ .

(٤) نفس المصدر : ص ٥٣ .

ومع هذا فالاشارة لثعلب لا تنهض دليلا لنسبة الشرح له بل يصح أن تنفيها عنه ، لأنه لو كان له لما كان هناك ما يدعو للتص على الأخذ عنه في هذين الوضعين .

ولثعلب شرح آخر للامية وقد ذكره بروكلمان فيما ذكر من شروحها[1] بينما تجاهله سزكين فهل شرحها ثعلب مرتين ؟! أم أن أحدهما ليس له ؟/كما أن مخطوطة دار الكتب المصرية والتي لم يشر لها بروكلمان ولا سزكين جاء فيها " تمت التقييدات المنسوبة لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد التي على قصيدة الشنفرى المشهورة بلامية العرب" [2] وهذا دليل آخر على نسبة الشرح للمبرد .

وعلى هذا فليس هناك ما يدعو لموافقة المؤرخين اللذين اقتفيا أثر نولدكه في الشك في نسبة الشرح للمبرد[3] . وكل ما في الأمر أن الذي جاء بالشرح عن المبرد ضمنه رأي ثعلب في الموضعين السابقين مثلما ضمنه رأي الأصمعي البصري في الأول منهما حين قال "قال الأصمعي : أول ما يقال لولد الناقة كما يسقط من بطن أمه سليل وهذا قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، ثم يسمى بعد ذلك إذا تبيّن سقبا وحوارا والأنثى سقبة " [4]

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان . ج ١ : ١٠٨ .
(٢) شرح لامية العرب للمبرد : مخطوط : آخر ورقة .
(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان . ج ١ : ١٠٧ .
(٤) شرح لامية العرب للمبرد : ص ٢٦ .

أما الشرح الثالث -وهو من الشروح الأُولى لها- فهو شرح أبى بكر بن دريد (١) ، وقد حاولت الاطلاع عليه وعلى شرح ثعلب السابق لما لهما من فائدة فيما نحن فيه ، لكن لم أتمكن

وشرحها بعدهم الشارح المشهور يحيى بن على التبريزى (٢) شارح المعلقات والمفضليات والحماسة وديوان المتنبي ... لكن لم يكتب لشرحه شيء من الذيوع ، ولعل ذلك يعود إلى أنه غير منشور .

أما أشهر شروحها وأذيعها صيتا فهو شرح الزمخشرى " أعجب العجب فى شرح لامية العرب " (٣) وقد نشر هذا الشرح ثلاث مرات الأولى بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ والأخريان بالقاهرة سنة ١٣٢٤ ، ١٣٢٨ هـ.

وجاء بعده شرح العكبرى (ت ٦١٦) وقد حظي بما لم يحظ به غيره ، فقد نشر محققا ثلاث مرات هى : شرح لامية العرب للعكبرى تحقيق محمد خير الحلوانى سنة ١٤٠٣ هـ ، شرح لامية العرب للعكبرى تحقيق الأستاذ رجب إبراهيم الشحات (٤) ، إعراب لامية الشنفرى تحقيق وتقديم محمد أديب عبد الواحد جمران ١٤٠٤ هـ.

---

(١) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : جـ ١ : ١٠٧ ، تاريخ التراث العربى م ٢ جـ ٢ ص ٥٢ .

(٢) نفس المرجعين السابقين جـ ١ : ١٠٧ ، م ٢ : جـ ٢ : ٥٢

(٣) نفس المرجعين السابقين جـ ١ : ١٠٧ ، م ٢ : جـ ٢ : ٥٢ .

(٤) ضمن دراسات عربية وإسلامية مهداه إلى محمود شاكر ، ٢٤٣ وما بعدها

ولا أدرى ما وراء تكرار هذه الجهود مع أن هذا الشرح ليس أكثر من تلخيص لشرح الزمخشرى المذكور.

وقد نشطت حركة الشروح فى هذا القرن (السابع) أكثر مما سبقه من قرون حيث شرحها فيه يحيى بن حميده بن ظافر الحلبى (ت ٦٣٠) بشرح سماه " المنتخب فى شرح لامية العرب "(1) وشرحها أيضا محمد بن كجك التركى، وقد ألف شرحه سنة ٦٩٨ هـ.

ثم خمد هذا النشاط حتى جاء القرن العاشر والذى شرحها فيه المؤيد بن عبد اللطيف النخجوانى (2)

وتوالت الشروح بكثرة فيما أعقبه من قرون، وقد أوردها سزكين كما يلى :

- " عنوان الأدب بشرح لامية العرب " لأبى الاخلاص جاد الله الغنيمى الفيومى .
- " تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب فى معرفة لامية العرب " لمحمد بن قاسم ابن زاكور، وقد نشر بالقاهرة مرتين سنة ١٣٢٤، ١٣٢٨هـ مع شرح الزمخشرى .
- " نهاية الأدب فى شرح لامية العرب " لعطاء الله بن أحمد المصرى . وقد نشر أيضا بالقاهرة مرتين سنة ١٣٢٤، ١٣٢٨ هـ مع شرح الزمخشرى وابن زاكور.

---

(1) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : جـ ١ : ١٠٨

(2) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين م ٢ : جـ ٢ : ٥٣

- سبك الأدب على لامية العرب لسليمان بن عبد الله الشاوى العبيدى الحميرى .
- خلاصة الأدب على لامية العرب لشارح يسمى عبد الرحمن بن محمد .
- شرح لمؤلف يسمى محمد العصامى الدمشقى .
- شرح لمحمد الخالدى الصفدى .
- شرح لمؤلف يدعى المجوسى .
- شرح عبد الهادى التازى .
- شرح من تأليف أبى نصر محمد بن يحيى بن كرم النحوى ، بالاشتراك مع الواسطى .
- إحقاق الحق وتبرؤ العرب مما أحدث عاكش اليمنى فى لغتهم ولامية العرب" لمحمد محمود الشنقيطى (توفى حوالى سنة ١٣٢٠ هـ) وهو رد على شرح الحسن بن أحمد عاكشى اليمنى (المتوفى سنة ١٢٨٩)[١]

وعنوان هذا الشرح يثير الانتباه وكأن وراءه ما يميزه عما عداه، لكن وجدت أنه ليس أكثر من خلاف بين الشارحين على مسائل فى الإعراب وفى بنية الكلمة ومعناها وفى روايات القصيدة ، وربما كان الخلاف على كتابة كلمة هل تكتب بالألف الممدودة أم بالألف المقصورة ؟ !

---

(١) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين : م ٢ : ج ٢ : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

وقد أورد ابن التلاميذ عليه بعض الأخطاء التى كان عاكش غالبا ما يسوقها على سبيل الاحتمال مما يعنى أن له فيها رأيا آخر تجاهله متعقبه ولم يشر إليه .

ومع أن شرح عاكش مفقود إلا أن تحامل ابن التلاميذ عليه مشهود تدل عليه تخطئته له فى بعض المواضع التى خالفه فيها السداد وذلك كرده إعرابه جملة : " اهتاج أعزل " حيث قال : قوله فى إعرابه : "اهتاج فاعله مستتر فيه ، وأعزل خبر مبتدأ محذوف غلط . والصواب وهو الحق الذى نص عليه العلماء أن فاعل اهتاج : أعزل ، أى اهتاج منه رجل أعزل على حد قول الشنفرى ...... وهذا يسمى عند علماء البلاغة بالتجريد ".(١) مع أن عاكشا اقتفى أثر الزمخشرى فى إعراب الجملة "(٢) .

وكما رد إعرابه رد روايته حين قال : قوله مع الفجر " غلط واضح فى الرواية . والصواب أن الرواية "مع الصبح" والعلم عند الله "(٣) مع أن رواية " مع الفجر " رواية ابن طيفور(٤) .

---

(١) إحقاق الحق وتبرؤ العرب عما أحدثه عاكش اليمنى فى لغتهم ولامية العرب لمحمد محمود بن التلاميذ الشنقيطى - مخطوط ورقة ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) أعجب العجب فى شرح لامية العرب للزمخشرى : ص ٢٩

(٣) إحقاق الحق : صفحة ٣٩ .

(٤) راجع نص القصيدة برواية ابن طيفور .

كذلك رد شرحه للفظة «زهلول» حين قال: " قوله فى البيت الخامس الزهلول بالزاى الخفيف إفك" واختلاق ، والحق الذى لا محيد عنه أن الزهلول على وزن عصفور هو الأملس "(١) مع أن الخفيف للزهلول جاء فى الشرح المنسوب للمبرد (٢) .

وتحامل ابن التلاميذ غايته المحافظة على اللامية فقد رأى فيها رمزا للأمة ولغتها ، وقد ترددت كلمات : إحقاق وتبرؤ وإفك وغيرها من الكلمات التى تعنى أن التعرض لهذه اللامية بما لا ينبغى تهمة لا تبرأ .

هذه شروحها بالعربية ، أما بالفارسية فقد عد لها سزكين شرحين : أولهما : " لقاموس كوشتى غلام حسين السيراجى (٣) والآخر يظن أنه لمؤلف يدعى لطف على بن أحمد المغانى التبريزى (٤) .

وهكذا فقد شرح اللامية الأعلام من اللغويين والرواة ، ولم تقتصر شروحها على العربية بل تجاوزتها إلى الفارسية ، وفى هذا الدليل

---

(١) إحقاق الحق :صفحة ١٣ .

(٢) شرح لامية العرب : ١٧ .

(٣) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين م ٢ : ج ٢ : ٥٥ .

(٤) نفس المرجع : م ٢ : ج ٢ : ٥٥ .

كل الدليل على الاهتمام الكبير الذى يشهد به قول الشاوى فى شرحه لها :"لما كانت القصيدة الموسومة بلامية العرب للشنفرى خالد بن ثابت الأزدى (١) من غرر القصائد على الاطلاق، وأهداها إلى طريقة الكرماء بالاتفاق ، كيف لا وقد قال سيدنا عمر رضى الله عنه ،علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق " لهج بها أهل الأدب وجنح إلى حفظها من له محبة بآثار العرب" (٢) .

وفى هذا إجابة عن تساؤل د . خليف حين قال " وقد نتساءل بعد هذا ما السر فى تلك العناية الغريبة التى لقيتها هذه اللامية حتى تؤلف فيها تلك الشروح الكثيرة المتعددة "(٣) .

وهذا التعدد يجعل دراستها جميعا فى هذا السياق أمرا متعذرا لذلك سأقف على ثلاثة منها هى :

- الشرح المنسوب للمبرد .
- أعجب العجب فى شرح لامية العرب للزمخشرى .
- سكب الأدب على لامية العرب لسليمان بن شاوى .

---

(١) اسمه ثابت بن الأوس الأزدى ولم أجد ما يدل على أن اسمه خالد إلا فى هذا الشرح .
(٢) سكب الأدب على لامية العرب للشاوى - مخطوط : لوحه ١
(٣) الشعراء الصعاليك : ١٨٠ ، ١٨١ .

الشرح المنسوب للمبرد :

وهذا الشرح يغلب عليه توضيح معانى الألفاظ المفردة حتى أن لقب شاعر القصيدة " الشنفرى " جاز عليه ما جاز على ألفاظ القصيدة ففسره بقوله " الشنفرى " البعير الضخم ، وقيل الشنفرى العظيم الشفتين " (١)

وللشارح طرقه التى يسلكها فى توضيح معانى الألفاظ فإما أن يقتصر على تعريف اللفظ بما يقابله ،كقوله فى شرح ألفاظ هذا البيت :

فقد حمتِ الحاجاتُ والليلُ مقمرٌ وشدّت لطيّاتٍ مطايا وأرحلُ

" حمت : قدرت ، والليل مقمر : أى قد وضح الأمر كما يكشف القمر الظلماء ، والطيه : الحاجة " (٢) . وإما أن يورد شاهدا على المعنى وذلك كقوله : أقيموا هنا بمعنى اصرفوا عني ، ومنه قول الشاعر :

أَقيمُوا بني النعمان عنّا صدوركم وإلا تقيموا صاغرين الرؤوسا (٣)

وإما أن يورد مع اللفظ مجموعة من الألفاظ التى تدل على نفس معناه وذلك كقوله فى معنى " أزل " في قول الشاعر :

---

(١) شرح لامية العرب للمبرد : ص ١١ .

(٢) نفس المصدر : ١٤

(٣) نفس المصدر : ١١

وأغدو على القوتِ الزهيدِ كما غدا أزلُّ تهاداه التنائفُ أطحلُ

" وأرسح وأرصع وأزل بمعنى واحد "(١) ، وفي معنى " يخوت " في قوله :

غدا طاوياً يعارضُ الريحَ هافياً يخوتُ بأذنابِ الشعابِ ويعسلُ

" واختاتها واختشقها واشتقها واعتقدها كل ذلك إذا اختطفها "(٢) .

هذه طرقه ، وربما اكتفى من البيت باللفظة الواحدة(٣)، أو تركه دون تعرض له وقال " لا كلام على هذا البيت "(٤) .

على أن المبرد لا يقتصر على شرح الألفاظ المفردة بل يتجاوزها إلى مسائل تتعلق بالنحو والصرف والبلاغة ، من ذلك كلمة "نوح" في قول الشاعر :

فضجَّ وضجَّت بالبراحِ كأنَّها وإياه نُوحٌ فوقَ علياءَ ثُكَّلُ

حيث قال " نوح" مصدر نعت به "(٥) وكلمة " جبأ " في قوله :

ولا جُبَّأٍ أكهى مُربٍّ بعرسِه يطالعُها في شأنِه كيفَ يفعلُ

---

(١) شرح لامية العرب للمبرد : ص ٣٧

(٢) نفس المصدر : ص ٣٨ .

(٣) البيت هو قوله :

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

(٤) مخطوطه دار الكتب لوحة : ١٦ .

(٥) شرح لامية العرب للمبرد : ص ٤٨ .

حيث قال " ولو نصب «جباً» على الموضع لصح "(١) .

ومن المسائل الصرفية قوله " والذقون : جمع ذقن فى الكثرة وفى القلة الأذقان"(٢)

" ومحيار على وزن مفعال "(٣). "والأجهال جمع جهل لغة شاذة بل جمع جهل جهول" وهى اللغة المستعملة "(٤). والنظائر : جمع نظيرة كعجيبة وعجائب وكبيرة وكبائر وإنما يعنى السلق وهن إناث الخيل الواحدة سلقة فإذا أراد الذكور لم يجز عندنا إلا إذا اضطر الشاعر كما قال الفرزدق :

وإذا الرِّجالُ رأوا يَزيْدَ رأيتَهم ... خُضُعَ الرِّقابِ نواكِسَ الأَبْصارِ

فعائل عندنا من جمع المؤنث "(٥). ومراميل فى الحقيقة مراسل ولكن الشاعر أشبع الكسرة لما اضطر فصارت ياء (٦)

وألم الشارح بالتشبيه فى قول الشاعر :

وأعدل منحوضاً كأنّ فُصوصَه ... كعابٌ دَحاها لاعبٌ فهيَ مُثَّلُ

حيث قال " شبهها فى قلة لحمها وظهورها بكعاب "(٧)، وبالاستعارة فى قوله :

إذا الأمعزُ الصَّوّانُ لاقى مناسِمي ... تطايرَ منه قادِحٌ ومُفَلَّلُ

---

(١) شرح لامية العرب للمبرد ص ٢٧
(٢) نفس المصدر ص ٥١
(٣) " " " " ص ٣٠
(٤) " " " " ص ٥٩
(٥) " " " " ص ٣٩
(٦) " " " " ص ٤٩
(٧) " " " " ص ٥٤

حيث قال "المناسم " فى الأصل أخفاف الإبل كالسنابك من الخيل فاستعارها لنفسه "(١) وبالتتميم فى قوله :

ولولا اجتنابُ الذامِ لم يلفَ مشربٌ يُعاشُ به إلا لديَّ ومأكلُ

حيث قال " ولولا ... الخ مبالغة فى مدح نفسه وذلك أنه أخبر فى البيتين قبله أنه يديم مطال الجوع ويستف ترب الأرض فربما يتوهم متوهم أن ذلك لعجزه عما يشبعه فدفع ذلك بهذا البيت ، وهذا يسمى عند علماء المعانى بالتتميم"(٢)

وقد ساق الشارح أشياء على سبيل المآخذ على الشاعر فجعلها من باب الضرورة ومخالفة الصواب فجهول هو الجمع الصحيح لجهل وليس الأجهال (٣) و مراميل جمع مرمل ضرورة والصحيح مرامل (٤)" ومحابيض الصحيح فيها محابض.(٥)

وربما عول على التقدير والتأويل لكلام الشاعر فى مثل قوله :

وآلفُ وجهَ الأرضِ عند افتراشِها بأهدأَ تنبيه سناسنُ قُحَّلُ

حيث قال " إنما يريد أن يقول " بمنكب أهدأ "(٦)، وقوله :

وأعدل منحوضا كأن فصوصه كعاب دحاها لاعب فهى مثل

حيث قال : " إنما يريد أن يقول " أعدل ذراعا منحوضا "(٧)

---

(١) شرح لامية العرب للمبرد ص ٣١
(٢) نفس المصدر ص ٣٤
(٣) " " ص ٥٥
(٤) " " ص ٤٩
(٥) " " ص ٤٦
(٦) " " ص ٥٣
(٧) " " ص ٥٤

وقد ذهب إلى أن الشاعر أخذ قوله :

مهرّتةٌ فوهٌ كأن شدوقها شقوقُ العِصيِّ كالحاتٌ وبسّلُ

من قول علقمة بن عبده :

فوهٌ كشقّ العصا لأيا تبيّنه أسلّ ما يسمع الأصوات مصلوم (١)

ويحفل كثيرا باختلاف روايات القصيدة ولا عجب فى ذلك فاختلاف الروايات

له دور كبير فى توجيه المعنى ، فكلمة " أهل " فى قول الشاعر :

اُقيموا بني أمّي صدور مطيّكم فإنّي إلى أهلٍ سواكم لأميل

" تروى إلى قوم سواكم " (٢) ، وعرضت فى قوله :

وكلّ أبيّ باسِلٌ غير أنّني إذا عرضتْ أولى الطّرائدِ أبسلُ

" تروى أعرضت " (٣) وانتحت فى قوله :

ولستُ بمحيارِ الظّلام إذا انتحتْ هدى الهوجلِ العسّيفِ يهماءُ هوجلُ

تروى نحت (٤) والبيت التالى :

هم الأهلُ لا مستودعُ السّرّ ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جرّ مخذل

يروى :

هم الأهلُ لا مستودعُ السّرّ عندهم يفاشٍ ولا الجاني بما جرّ مخذل

---

(١) شرح لامية العرب للمبرد : ص ٤٧

(٢) نفس المصدر ص ١١

(٣) نفس المصدر ص ١٩

(٤) نفس المصدر ص ٣٠

ويروى أيضـا :

هم الأهل لا مستودع السرشائع لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذل (١)

وقوله :

مهلهلة شيبُ الوجوه كأنّهـا قداحٌ بكفّيّ ياسرٍ تتقلقـل (٢)

يروى " حـوّاها ياسر تتقلقل "

وقولـه :

فضجّ وضجّت بالبَرَاح كأنّها وإيّاه نوحٌ فوق عَلياءَ ثكّـل (٣)

يروى إذا هى ضجت بالبراح (٣) ، وبادرات فى قوله :

وفاء وفاءت بادراتٍ وكلّهـا على نكظٍ مِمّا يكاتـم مجمـل

تروى " باديات " (٤) وأحناؤها فى قوله :

وتشرب أسآرى القطا الكدرُ بعدَ ما سرت قربـاً أحناؤُها تتصلصـل

يقول عنها ، وروايتى أُحشاؤها وهو أجود عندى " (٥) ، وأسدلت فى قوله :

همت وهمت وابتدرنا وأُسدلت وشمّر مني فارط متمهـل

يقول عنها " وحفظى وقصّرت " (٦) ولا أتنعـل فى قوله :

فإمّا تريني كابنةِ الرّمل ضاحياً على رقّةٍ أحفى ولا أتنعّـلُ

تروى " ولا أتسربل " (٧) ،وأقطعه فى قوله :

---

(١) شرح لامية العرب للمبرد : ص ١٨
(٢) نفس المصدر ص ٤٠
(٣) " " ص ٤٨
(٤) " " ص ٥٠
(٥) " " ص ٥٠
(٦) " " ص ٥١
(٧) " " ص ٥٧

وليلة نحس يصطلي القوسَ ربُّها وأقطعه اللاتي بِهـا يتنبَّـلُ

تروى أقدحه (١) . وأغدو في قوله :

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلُّ تهاداه التَّنائِفُ أطحَلُ

يرويها " وأعدو " (٢) .

---

(١) شرح لامية العرب للمبرد : ص ٥٩

(٢) نفس المصدر : ص ٣٧

أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري :

إذا كان الشرح المنسوب للمبرد يغلب عليه شرح معاني الألفاظ المفردة فإن شرح الزمخشري يغلب عليه الإعراب والمعاني والبيان ، وقد أكد هذا في مقدمة شرحه حين قال " وخطابي لمن نشأ في علم الإعراب ، وحقق في ميادين أفكاره بالعجب منه والإطراب ، وسرد علمي المعاني والبيان ، وعرف التحقيق فيهما من التبيان ، وطالع أساس البلاغة وعرف براعة البراعة "(١)

وقد جعل المعنى فيصلا في توجيه الإعراب في كثير من الأحيان ، فما في قول الشاعر :

هم الأهل لا مستودعُ السِّر ذائعٌ   لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذل

" مصدرية والتقدير ولا الجاني مخذول بجريرته ، ويجوز أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي بما جره ، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة وهي مساوقة للذي في كونها في سياق النفي وهي أقعد في المعنى من الوجهين الأخيرين "(٢) .

وأضرب في قوله :

أُديم مطال الجوع حتّى أُميتَه   وأَضربُ عنه الذّكرَ صفحاً فأَذهل

" معطوف على أديم ويبعد عطفه على أميته لأنه يلزم أن يكون مخبرا عن شيء واحد وهو أديم ، وإذا كان عطفا على أديم كان مخبرا بالأمرين فيكون أقعد في المعنى

---

(١) أعجب العجب : ص ١١
(٢) نفس المصدر : ص ١٩

أى أديم وأضرب "(١) ويعلو فى قوله :

ولا خرقٍ هيقٍ كأنّ فؤادَه   يظَلّ به المكّاءُ يعلو ويسفُل

" خبر يظل "، وبه على هذا معمول ليعلو أو يسفل ، ويجوز أن يكون يعلو حالا

وبه خبر يظل ، والأول أجود وأقعد فى المعنى "(٢) ، "والليل مقمر" فى قوله :

فقد حمت الحاجات والليل مقمرٌ   وشدت لطيّاتٍ مطايا وأرحل

" جملة من مبتدأ وخبر مستأنفه لا موضع لها من الإعراب ،ويجوز أن يكون حالا.

والأول أجود إذ ليس مقصودة أن الحاجات قد حضرت فى هذه الحالة وإنما

مقصودة الإخبار بأن لا عذر لهم ليجدوا فى أمورهم "(٣)

والإعراب وإن رأى فيه طريقا لفهم المعنى إلا أنه كثيرا ما انحرف به من هذا المسار

و جعل منه استطرادات يضيع الشعر فى غمارها فيصل به الأمر إلى أن يترك

الشرح وينطلق إلى الحديث عن مسألة نحوية يفرد لها فصلا وذلك كفعله في

عبارة " الحسن الوجه "(٤) التى استغرقت ما يقارب ست ورقات، وما ذلك إلا

لأنها أشبهت " شيب الوجوه " فى قول الشاعر :

مهلهلةٌ شيبُ الوجوهِ كأنّها   قداحٌ بكفّي ياسِرٍ تتقلقل

---

(١) أعجب العجب : ص ٣٣

(٢) نفس المصدر : ص ٥٨

(٣) " " : ص ١٥

(٤) " " : ص ٤١

ومع كل ذلك فإننا لا نعدم في شرحه ملاحظات هامة تنبئ عن توجه للشعر ، "فأميل" في قول الشاعر :

أقيمُوا بني أُمِّي صدورَ مطيِّكم فإنّي إلى قومٍ سِواكم لأميَلُ

"بمعنى مائل وليس المراد بأميل المبالغة لأنه يؤدى إلى اشتراكهم في الميل ولم يكن كذلك " (١) "وإلى" تتعلق بأميل لما فيه من معنى الفعل ولام التوكيد لا تمنع ذلك (٢) ، "وأهلون" في قوله :

ولي دونكم أهلون سِيدٌ عملَّسٌ وأرقطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جيأَل

" جمعها جمع سلامة لأنه نزلها منزلة أهله في الانقطاع والاستئناس بهم " (٣) "وتحيت" في قوله :

إذا وردتْ أصدرتُها ثم إنَّها تثوبُ فتأتي من تحيتُ ومن عَلُ

"تصغير تحت وإنما صغرها لأن مراده أنها قريبة مني لا تبعد إذا أصدرتها " (٤) فهو يحاول البحث عن القيمة في اختيار الشاعر لأساليبه واستعمالاته .

ومع أن الشارح اعتد بلفظ الشاعر حين ذهب إلى أن الصوان في قوله :

إذا الأمعزُ الصَّوَّانُ لاقَى مناسِمِي تطايرَ منه قادِحٌ ومفَلَّلُ

---

(١) أعجب العجب : ص ١٤
(٢) نفس المصدر : ص ١٤
(٣) " " ص ١٨
(٤) " " ص ٥٧

يجوز أن يكون " صفة الأمعز لأن الأمعز لما لازمته الحجارة وكثرت فيه ولا يكون أمعز بدونها جاز أن يعبر بالأمعز عن الصوان كما إذا كثر فعل من شخص صح أن يوصف به فإذا كثر نومه قلت زيد نوم . وزيد إقبال وإدبار إذا كثر منه الذهاب والرجوع "(١) إلا أنه سرعان ما تركه ونزع إلى التقدير والتأويل فى مواضع متعددة من شرحه، فلأن طاويا فى قول الشاعر :

غدا طاويا يعارض الريح هافيا يخوت بأذناب الشعاب ويعسل

من طوى المتعدية يكون التقدير " طاويا أحشاءه على الجوع "(٢) . والشاعر يقول :

كأنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْه وحولَه أضاميمُ من سَفْرِ القبائلِ نُزَّلُ

والشارح يقول : أصوات أضاميم، ويذهب إلى أن هذا التقدير لا بد منه من جهة أن الأصوات التى هى وغاها لا تشبه بالأضاميم وإنما تشبه الأصوات بالأصوات (٣) والشاعر يقول :

فضج وضجت بالبَرَاحِ كأنها وإياه نُوحٌ فوقَ علياءَ ثُكَّلُ

وهو يقول " التقدير نساء نوح كما يقال قوم صوم وفطر ". والشاعر يقول :

ولست بمحيار الظلام إذا انتحت هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل

وهو يقول " لست محيارا فى الظلام "(٤)

---

(١) أعجب العجب : ص ٣١ ، ٣٢
(٢) نفس المصدر : ص ٣٩
(٣) " " : ص ٥٢
(٤) " " ص ٣٠

سكب الأدب على لامية العرب[1] لسليمان بن عبد الله بن شاوى الحميرى :

والشرح يمثل مرحلة متأخرة فصاحبه من أهل القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر .

وقد تعددت شروح اللامية فى هذه المرحلة من التاريخ فزادت على العشرة[2] مما يدل على ما تنطوى عليه من محاولة لجمع العلوم الاسلامية والتوارد عليها ، التوارد الذى قد يخلو من الترتيب إلا أنه لا يسوغ للباحثين تجاوزها .

وقد قام هذا الشرح على عناصر رئيسية سماها صاحبه هى اللغة والإعراب والمعنى . إلا أنه لم يكتف بها فى كثير من الأحيان بل جاوزها إلى ما أسماه تتمة وتكملة وتكميلا واستطرادا ، ووضع تحت هذه المسميات كثيرا من القضايا النحوية والمسائل الفقهية والحوادث التاريخية .....

---

(١) أديب من شيوخ بادية الشام ، ولد ونشأ فى بغداد وأقبل على الأدب فنظم الشعر ، وكانت لأبيه إدارة العشائر فى أطراف بغداد ، وقتله أحد الولاة العثمانيين فثار سليمان مع بعض إخوته فى طلب الثأر لأبيهم وقُتل الوالى وأقيم سليمان مكانه مديرا للعشائر . . . وقتل سنة ١٢٠٩ . انظر الأعلام جـ٣ : ١٢٩

(٢) راجع ص

وقد استحالت اللغة فى هذا الشرح الى ما يشبه معجما لغويا يقتصر على ألفاظ لامية العرب بلفظة الكريم فى قول الشاعر :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

تناولها بقوله " الكريم مأخوذ من الكرم وهو محرك (١) ضد اللؤم ، وكرم كرامة وكرما وكرمة محركتين فهوكريم وكريمه وكرمة بالكسر ومكرم ومكرمه وكرام كغراب ورمان ورمانة يجمع على كرماء وكرماء وكرائم .ويامكرمان للكريم الواسع الخلق . وكارمة مكرمة كنصرة : غلبة فيه ، وأكرمه وكرمه : عظمة ونزهة ، والكريم : الصفوح ورجل مكرام : مكرم للناس ،وله على كرامة أى غزارة " (٢)

أما الإعراب فقد حمل على عاتقه إعراب كل كلمات القصيدة ، وقد ساق فى ثنايا الإعراب أبيات ألفية ابن مالك يعول عليها فى ترجيح الوجه الإعرابى الذى أخذه عمن سبقه من الشراح .

وأما المعنى فيعمد فيه إلى نثر الأبيات الشعرية كما هو معهود ، فقول الشاعر :

ولكنّ نفساً حرّةً لا تقيمُ بِي على الذامِ إلا ريثما أتحوّل

---

(١) فى عبارة المخطوط خطأ (وهو محركه)
(٢) سكب الأدب لوحة : ٧٠

ينثر معناه بقوله : " ولكن نفسي تصونني عن الإقامة في دار ينالني فيها ضيم إلا مقدار ما أتحول عنها ، وما أحسن الشنفرى فيما ادعاه وأتقنه ووعاه لأن الكريم لا يرضى التوطن بدار الذل ، والإقامة في مكان يعاب عليه ويمل "(١)

وهو ينظر إلى تلك المعاني التي حفلت بها اللامية على أنها واقع يمكن حدوثه ، فالشنفرى حسب قوله " لم يجد خيرا من قومه فيوالفهم فلذلك اختار الوحوش، وموالفتها أمر ممكن بل واقع "(٢)، "ولا يبعد أنه كان يأكل معهم لشدة اختلاطه بهم "(٣) ، كذلك هو صادق فيما ادعاه حين قال :

وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غير أنني ... إذا عرضت أُولى الطَّرائدِ أبسل

لأنه كان من العدائين ومن أولي الألباب فلذلك ضرب في حقه المثل(٤).

ونظرته تلك هي التي جعلته يذهب إلى أن الشاعر قد بالغ في صبره على الجوع بحيث أن ما ادعاه خارج عن قدرة البشر "(٥) حين قال :

أُديمُ مِطالَ الجوعِ حتى أُميتَه ... وأَضربُ عنه الذِّكرَ صفحاً فأذهل

وإلى أنه " بالغ في شدة الوطء في سيره على الأرض إذ الصوانة شديدة في نفسها والأمعز أشد ، فتطاير الحجر الذي يقدح النار وينكسر من وطئه يدل على

---

(١) سكب الأدب : لوحة : ٧٧ .
(٢) نفس المخطوط لوحة : ١٥ ، ١٦
(٣) " " لوحة : ٢١
(٤) " " لوحة : ٢٦
(٥) " " لوحة : ٦٥

صلابة المنسم وشدة الوطء وكونه أصلب من الصوان "(١) وذلك في قوله :

إذا الأمعزُ الصَّوانُ لاقى مناسمِى   تطايرَ منه قادحٌ ومفـــللُ

كما ذهب إلى أن قوله :

واستفَّ تربَ الأرضِ كيلا يرى لـه   عليَّ من الطَّولِ امـرؤٌ متطولُ

" مبالغة أخرى فإن الاعتياض عن الطعام بالتراب مخالف للعادة وخارق لها "(٢)

وإلى أن قوله :

وأطوى على الخَمصِ الحوايا كما انطوتْ   خيُوطَةُ ماريٍّ تغار وتفتـــل

مبالغة في دقة أمعائه ، وما ذاك بسهل حتى كأنها خيوط مفتولة . وفيه مبالغة أخرى في إخفاء الجوع(٣) . كذلك قوله :

وآلف وجه الأرض عند افتراشهـا   بأهْدَأَ تُنْبِيه سناســنُ قحَّـلُ

مبالغة عظيمة تكاد تخرج عن طوق البشر(٤) . أما ادعاؤه سبق القطا :

وتشرب أساري القطا الكدرُ بعدَ ما   سرت قربـا أحناؤهـا تتصلصـــل

فربما ينكره الطبع (٥) .

---

(١) سكب الأدب : لوحة ٦٢
(٢) نفس المخطوط : لوحة ٦٧
(٣) " " : لوحة ٨٤
(٤) " " : لوحة ١٣٣
(٥) " " : لوحة ١٢١

إلا أن الشيء الذى يميزه مما لم يكن مثله عند الشراح الأوائل هو اتباعه كل معنى من معانى اللامية مجموعة من الأبيات التى تناسب معناه، وكأنما أدرك ما تعنيه لامية العرب من جمع للمعانى الكبرى مما جعله يأخذ فى تتبع تشكلات هذه المعانى في الشعر العربى .

وسأورد هنا بعض ما أورده فى أحد معانيها (الإقامة) من أبيات الشعر العربى قال : قال ابن مقرب

دعِ الدَّارَ بالبحرين تعفِي ربوعُها ... وسقهْا وإنْ لم يبقَ إلا نسُوعُها

وخلِّ أحاديثَ المطامعِ والمُنَى ... ألا إنَّما أشقَى الرِّجالَ طموعُها

ولا تَحْسِدنْ فيها رجالاً لشبعِها ... فخيرٌ لهمْ من ذلك الشّبعِ جُوعُها

. . . .

قبِّحْ بالعُلا دارَ المهانةِ والأذَى ... فما الرابحُ المغبوطُ إلا بيوعُها .

وقال عبد قيس بن خفاف :

واتركْ محلَّ السوءِ لا تحلُلْ بِهِ ... وإذا نبَا بِك منزلٌ فتحوَّلِ

وقال البحترى :

ما أنصفتْ بغدادُ حينَ توحَّشَتْ ... لنزيلِها وهيَ المحلُّ الأُنْسُ

وقال الشريف الرضى :

ماليَ لا أرغبُ في بلدة ... يكثرُ فيها الدَّهرُ حسَّادِي

ما الرِّزقُ فِي الكرْخِ مقيماً ولا ... طَوْقُ العُلَا فِي جِيدِ بغْدادِ

وقال القاضي عبد الوهاب المالكي :

بغدادُ دارٌ لأهلِ المالِ طيّبة ... وللمفاليسِ دارُ العكسِ والضّيقِ
أقمتُ فيها ضاعاً بين ساكنِها ... كأنّني مصحفٌ في بيتِ زِنديقِ

وقال التهامي :

كيفَ المقامُ بأرضٍ لا يخافُ بِها ... ولا يرجى شبعاً رُمحِي ولا قلمِي

وقال ابن شرف القيرواني :

وصيّر الأرضَ داراً والورى رجلاً ... حتّى ترى مُقبلاً في الناسِ مقبولا

وقال أبو فراس :

مَن كانَ مثلي فالدنيا له وطنٌ ... وكلُّ قومٍ غدا فيهمْ عشائِرُه
وما تمدَّ له الأطنابُ في بلدٍ ... إلا تضعضعَ باديْه وحاضِرُه

وقال أبو تمام :

وما ربعُ القطيعةِ لي بربعٍ ... ولا نادي الأذى منّي بنادِي

وقال الصفدي :

تبّاً لها من بلدةٍ لا أرَى ... فيها مُقامِي واضحَ النّهجِ
لإنّها في وجهِ سكّانِها ... وأهلِها تبصقُ بالثّلجِ

وقال أبو الطيب :

غنيٌّ عن الأوطانِ لا يستفزّني ... إلى بلدٍ سافرتُ عنه إيابُ

وقال القاضي عبد الوهاب :

أَطَالَ بينَ الدّيارِ ترحالِي   قصورُ مالي وطولُ آمالي

إن بتُّ في بلدةٍ مشيتُ إلى   أخرى فما تستقلّ اجْمالي

كأنني فكرةُ المُوَسْوِسِ ما   تَبْقَى مَدَا ساعةٍ على حالي

وقال الأرجائي :

وأخو الليالي ما يزالُ مراوحاً   ما بينَ أدهمِ خيلِها والأشهبِ

فالأرضُ لي كرةٌ أواصلُ ضربَها   وصوارحي أيدِي المطايا اللُّعَّبِ

وقال مصعب الصقلي :

إذا كان أصلي من ترابٍ فكلُّها   بلادي وكلُّ العالمين أقاربي

وقال أبو تمام :

لا يمنعنّكَ خفضُ العيشِ في دعةٍ   نزوعَ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ

تلقَى بكلِّ بلادٍ إن ظَلَلْتَ بها   أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

وقال أبو الطيب :

فاطلبِ العزَّ في لَظَى وذرِ الذّلّ   ولو كانَ في جنانِ الخلودِ (١)

* * * * * * * * * * *

---

(١) انظر الأبيات في المخطوط : لوحه ٧٧ وما بعدها

هـذه جهود الشراح ، وقد أحسوا بمشكلة الشعر وواجهوها بالطرق التي أتيحت لهم من شرح للألفاظ واعراب وصرف ... فى محاولة منهم لفتح مغاليقه وكشف أسراره ، والتأتى إليه .

ومع هذا فقد حذر الباحثون المعاصرون من خطورة هذه الشروح وخطؤوها . فقال الدكتور محمود الربيعى : " ولست فى حاجة إلى تأكيد خطأ هذا المنهج وخطورته على الشعر وعلى المتلقي ، وذلك لأنه يتجاهل الأمر البدهى ، وهو أنه لو كان نثر القصيدة يساوى القصيدة لما كان هناك معنى لخلود ولا ستوت قدرة المتنبى مثلا مع قدرة شراحه ، أقصد ناشرى شعره "(1)

وقال الدكتور كمال أبوديب : " الشروح والتعليقيات التقليدية على القصيدة بل على الشعر الجاهلى كله قاصرة قصورا مدهشا ذلك أن هذه الشروح ذات منحى فقه لغوى (فيلولوجى ، سائد وهى لا تتحرك إلا على المستوى اللغوى السطحى للقصيدة "(2)

---

(1) فى قضايا الأدب واللغة : ٣٩٢ .

(2) مجلة المعرفة ، وزارة الثقافة والارشاد القومى - دمشق - العدد ١٩٥ - سنة ١٩٧٨م .

أما الدكتور أحمد جمال العمرى فذهب إلى أن شراح الشعر " كانوا في مجموعهم نحاة ولغويين وإخباريين ومفسرين للقرآن ، وكان الشعر في معارضهم وحلقاتهم قربانا يتوسل به إلى دراسة علم من هذه العلوم فكانوا يعرضون الشعر ويشرحونه كعامل مساعد لتوضيح علوم أخرى"(١) .

وليس هناك ما يدعو لمتابعة هؤلاء الباحثين لأن الرد على شراح الشعر لايكون بلومهم واتهامهم بالتقصير إنما يكون بدراسة ما قدموه والإضافة عليه .

---

(١) شروح الشعر الجاهلى - نشأتها وتطورها - للدكتور أحمد جمال العمرى ج ١ : ٣٧٢ .

المبحث الثاني

اللامية في دراسات المعاصرين

لقد شغل كثير من الباحثين المعاصرين بقضية نشأة الشنفرى ونسبه وأخبار صعلكته حتى استحال الحديث عن اللامية إلى حديث عن صاحب اللامية وعن الصعلكة والصعاليك ، كما تشبث بعضهم بالتحليل النفسي للامية حتى لكأنها وثيقة يعول عليها في التعرف على شخصيته وأسرار حياته .

وكان من نتيجة هذا أن استأثرت هذه القضايا بجهود الباحثين وصرفتهم عن التوجه للامية والاعتداد بلغتها الشعرية ، وقد تعرض محمد على أبو حمده لذلك في موضعين من كتابه - في التذوق الجمالي للامية العرب - أولهما : " وقد أملت أن يكون فؤاد افرام البستاني قد خدم القصيدة خدمة تجاوز شرح المفردات الصعبة والتقسيمات الشكلية في مؤلفه " الروائع " ولكنه لم يفعل ، لقد استعاض عن التذوق الجمالي للقصيدة باستشفاف صورة الشنفرى عبر الروايات التاريخية التي للأسف لا يمكن الاطمئنان إلى صحتها ومبالغاتها " (١) والآخر " ولكن اللافت

---

(١) في التذوق الجمالي للامية العرب : محمد على أبو حمده : ص ٤

للنظر حقا أن يكون شرح الدكتور محمد بديع شرف هو ذاته شرح المبرد والزمخشرى وأن يقع الدكتور دونهما فى شرح معانى الأبيات معظم الأحيان .... وقد كان الأمل أكبر أن يعبر الدكتور محمد بديع شرف القصيدة عبورا جماليا يجاوز شرح المفردات والمعانى ولكنه لم يفعل إلا فى المواضع القليلة جدا " (١)

---

(١) فى التذوق الجمالى للامية العرب : ص ٤

امتداد طريقة الشراح في دراسات المعاصرين :

لم يجاوز أكثر الدارسين المعاصرين في دراساتهم للامية صنيع الشراح حتى لكأن ما قاموا به ترديد لما في تلك الشروح ، ومع أن الأستاذ محمد علي أبوحمده قد انتقد كلا من الدكتور محمد بديع شرف وفؤاد إفرام البستاني على تقفيهما . طريقة الشراح ، وذهب إلى أنه يحرص "على استنطاق القصيدة كوا من أحاسيس الشاعر المنبثة فيها من خلال ما تحدّث به دلالات الألفاظ وموحيات التراكيب ومن خلال ما يحدّث به النمو الداخلي للقصيدة ومعمارها الفني وترابط هواديها وأعجازها"(١) إلا أنه لم يستطع أن يجاوز شرحي المبرد والزمخشري فأخذ يردد ما فيهما من توضيح للمعاني والإعراب ، فقول الشاعر :

ولي دونكم أهلون سيد عملس   وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

عبره جماليا ـ حسب قوله ـ كما يلي : "دونكم : غيركم . السيد : الذئب ، يقال : هذا سيد رمل والجمع سيدان والأنثى سيده وقد يسمى الأسد : السيد . قال الشاعر :

كالسِّيدِ ذي اللبدُة المستأسِدِ الضَّارِي

---

(١) في التذوق الجمالي للامية العرب : ص ٣

ويقول المبرد : السيد في لغة هذيل الأسد وإنما عنى هنا الذئب

العملس : الذئب القوى على السير السريع

الأرقط : ما فيه سواد يشوبه نقط بياض والمراد به النمر

ويقول المبرد : الرقطة كل لونين مختلفين

الزهلول : الأملس وعند المبرد الخفيف

العرفاء : الضبع الطويلة العرف ويقول المبرد : إن العرفاء في الأصل نعت فغلب فصار بمنزلة الأسماء غير النعوت حتى انه يقال : جاءتكم العرفاء فيفهم من هذا القول أن الضبع جاءت .

جيأل : اسم للضبع معرفة بدون الألف واللام وهي صفة في الأصل ثم غلبت فخرجت مخرج الأسماء ، ويقول المبرد إن الجيأل هي الأنثى من الضباع والذكر الضبعان .

أهلون : جمع أهل ، وأهلون مبتدأ ، ولى خبره

سيد وأرقط وعرفاء : بدل من أهلون وجائز أن يكون كل واحد من هذه الأسماء خبرا لمبتدأ محذوف تقديره "هو" (١)

---

(١) في التذوق الجمالي للامية العرب : ص ١٩ ، ٢٠

وقد نسب ما أخذ عن المبرد، أما ما أخذ عن الزمخشرى-وهو كل ما بقى - فلم ينسبه لصاحبه حتى يترائى لمن يراه أنه من أقوالــه (١)

ثم هل هذا هو العبور الجمالى الذى يكشف عن النمو الداخلى للقصيدة والذى بشر به الأستاذ أبو حمده فى مقدمة كتابه ؟ !!

والرؤية ليست واضحة فى دراسة الأستاذ أبو حمده فمرة يقول " ينبغـــى الاحتراس فى تجاوز تفسيرات الأقدمين للشعر العربى فهم من غير شك أقــرب منا إلى طبيعة الحياة التى لازمت هذا الشعر وأفرزته " (٢) ومرة يصـــم صنيعهم بالتقصير حيث وصف شرح الزمخشرى الذى تابعه فيه محمد بديع شريف لهذا البيت :

وَيرْكُدْنَ بالآصالِ حولي كأنَّنِي من العُصمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ أعقلُ

بقوله " وواضح أن كلا العبورين كانا فى التفسير الذى يحجب جماليات النص الشعرى ويحول دون تبيين دفــق الحياة وتماوج الألوان فيه " (٣)

ليس هذا فحسب بل إن قوله " إن ترك النصوص خلوا من أى تفسير لهو أفضل للناشئة وللقارئ من إقحام لا يمت إلى النص بصلة " (٤) يناقض به نفسه ، فقد

---

(١) راجع أعجب العجب : ص ١٧ ، ١٨

(٢) فى التذوق الجمالى للامية العرب : ص ١٣

(٣) نفس المرجع : ص ٨٢

(٤) نفس المرجع : ص ١٧

عبر قول الشاعر :

إذا الأمعزُ الصّوانُ لاقى مناسِمِي تطايرَ منه قادحٌ ومفلَّلُ

بقوله : " يكشف البيت عن وعورة بعض المناطق التى يرتادها ويقطعها ، إنه يضطر للإسراع فوق أكم الجبال المستدقة الأطراف ، وهو فى سرعة تنقله يتسبب فى انحدار قطع الصخور العالية التى تصطدم بغيرها من الصخور فيتطاير من تصادمها شرر النار أو قطع الحجارة المتناثرة . . . وربط هذا المنظر بالليل يعمق الإحساس بجمال الصورة " (١) وهذا إقحام ليس بعده إقحام .

ثم إن تطاير الشرر من جراء انحدار صخرة على أخرى أمر طبيعى يحدث بفعل الريح أو المطر . . . أو حتى دون شئ ، فأين الوجود الشعرى فى هذا ؟

وإقحامات الأستاذ هذه من قبيل الهروب من نص الشاعر الذى أعياه مما دعاه إلى رميه بالمبالغة والاستحالة قال " أما أن يتصور أن قدمه أصبحت من الصلابة بحيث تقدح فى اصطدامها مع الصوان نارا فتلك مبالغة مستهجنة وما نظن أحدا من شعراء الجاهلية قد تجرأ عليها " (٢)

---

(١) فى التذوق الجمالى للامية العرب : ص ٤١
(٢) نفس المرجع : ص ٤٢

وقد وقع الاستاذ أبوحمده دون الزمخشرى (١) فى عبور هذا البيت الذى انتقد غيره من أجله .

أما سابقه محمد بديع شريف (٢) فلم يكن أحسن حالا منه ، فقد أتى فى دراسته بما هو معروف عن حياة الشنفرى وأخباره ثم أعقبه بشرحٍ لمعانى الألفاظ والأبيات مقتفيا آثار الشراح .

إلا أن الشيء الذى تجدر الإشارة إليه مما جاء فى هذه الدراسة وقد خالفت به القدماء هو تقديمه ترتيبا آخر لأبيات القصيدة .

ولا أدرى إلى أي حد يحق للباحث منا أن يُقدِم على مثل هذا الصنيع خصوصا مع قصيدة روتها المصادر كاملة ليست متناثرة الأجزاء ؟ !

والدكتور شريف لا يجهل أن ما قام به لا يقدم ولا يؤخر، وأنه ليس له مكان حتى بالنسبة له ، فقد عدل عنه عندما شرح الألفاظ وعول على رواية المبرد والزمخشرى المعروفة .

أما الدراسة الأخيرة (٤) فقد أراد صاحبها منها أن تكون محاولة لتقريب اللامية من أفهام الدارسين ، قال : " ولقد حرصت فى هذا الكتاب

---

(١) راجع أعجب العجب ص ف فستجد أن الزمخشرى كان أقدر على مواجهة النص ، وأن الأستاذ أبو حمده لم يصل إلى الآفاق التى وصل إليها .

(٢) لامية العرب : د . محمد بديع شريف .

(٣) لامية العرب : د . عبد الحليم حفنى .

على محاولة تقريب اللامية من أفهام الدارسين وأذواقهم ، وعلى إبراز الجوانب الفنى تحتوى عليها من الناحية الأدبية ، والتى تحقق للدارسين بعض الغاية التى ننشدها" (١)

ولكن ماذا فعل حتى يتحقق له ما يريد ؟ ! لقد شرح الألفاظ كسابقيه مقتفيا آثار الشراح ..

ولنا أن نتساءل : هل هذا يفك مغاليق اللامية للدارسين ؟ ويقربها من أفهامهم ؟

والدارس نفسه أجاب على ذلك حيث قال : ولقد رأيت أن مجرد شرح أبيات اللامية لفظا ومعنى مع إلقاء الضوء على بعض النواحي البلاغية ليس مما يفي بالغرض ،فأتبعت الشرح بتعليق لا غنى عنه يلقى الضوء على صاحب اللامية صفاته وظروفه البيئية والنفسية ، ونهايته الفريدة ، وعن الصعاليك كأصحاب منهج متميز فى الحياة والشعر ، وكان لا بد فى خاتمة المطاف أن أعلق على ما أثير حول اللامية من جدل ، وآراء النقاد فيها كدرة فريدة من درر الأدب العالمي وليس الأدب العربي فحسب "(٢)

---

(١) لامية العرب : د . عبد الحليم حفنى : ص ٤ .

(٢) نفس المرجع : ص ٨

وقد ضاعت اللامية فى ثنايا هذه الأمور التى استغرقت معظم ورقات الدراسة ، أما اللامية فلم ينلها سوى شرح الألفاظ فى بداية الدراسة، وتلك الآراء التى وردت عن اللامية فى مؤخرة الدراسة والتى لا تتجاوز ست ورقات ..

وكان الأجدر أن تسمى هذه الدراسة " الشنفرى " لا ، لامية العرب"

....

التحليـــل النفساني للاميـــة :

استحالت اللاميــة في التحليـل النفسي الذى كتبه الأستاذ يوسف اليوسـف[١] إلى وثيقــة اعتراف تشهد على كثير من أخـلاق الشاعر وأسـرار حياته ،قال " لعل أول ما تكشفه اللامية أن الشاعر رجراج وذو نفسيــــة زئبقيــة متماوجه "[٢] وقال : ما علينا ، إذن ،إلا الانتباه منذ البدايـــة إلى أن التكامـل بالآخر هو ما يحرم منه الشاعر ، مما يفضى إلى خلـل فـى الاســتواء النفسى "[٣]. ليس هذا فحسب بل كَشَفَ أن شخصية الشاعـــر تحمل العقد المتناقضة ، قال : " يصر الشنفرى على تنصيب ذاته فـوق الآخرين ، وحين أنكرت عـليه الجماعة هذه الرغبة فقد حققها فى المجتمـع الوهمى (البيت السابع)[٤] مما يشير إلى نرجسيه متضخمة لدى الشاعر . وهنا يطرأ عـلى البال أن نفترض صراعا تحتانيا عميقــا يعيشه الشنفــــرى ، ويتضمن عقدة الدونية ، هذه العقدة التى لا تتناقض مع النرجسية ، بـــل التى قد تكون منشأ لهذه الاخيرة "[٥] .

---

(١) مقالات فى الشعر الجاهلى : يوسف اليوسف .
(٢) نفس المرجع : ص ٢٤٠
(٣) نفس المرجع : ص ٢١٠
(٤) هو قوله من اللامية :
وكل أبى باسل غير أنـــنى إذا عرضت أولى الطرائد أبسل
(٥) مقالات فى الشعر الجاهلى : ص ٢١٤ .

وسير أحوال النفس والتعرف على طبائعها من خلال القصيدة أمر متعذر "لأن القصيدة حقيقة جديدة استقلت عن أصلها الذى ترد إليه لأنها استقلت عن الأفعال التى تقع فى نفس الشاعر ،فهي لم تكد تخرج إلى حيز الوجود حتى نأت عنه ونأى عنها ولم يعد لنفسه وأحواله دخل فى التأتي إليها وفهمها "(١) .

وقد حفلت هذه الدراسة بترديد مصطلحات مثل : النهج الهروبى، التكامل بالآخر ، التكيف والبحث عن بديل ، النزعة الانفصالية ،السلوك النكوصى السلوك الانطوائى ، عقدة النقص ، عقدة الفوقية ، عقدة الدونية، المكابرة . . وغير ذلك مما قد يكون له قيمته فى معدنه الذى يؤول إليه لا فى دراسة الشعر لأن هذه المصطلحات إنما يوصم بها الأشخاص من الرجال والنساء لا القصائد ، وهذا يؤكد أن هذا التحليل منصب على صاحب اللامية لا على اللامية .

والنجاح كل النجاح عند صاحب التحليل النفسى العثور على أبيات يجري عليها شيئا من هذه المصطلحات ، وهذا ما حدث فى تحليله لأبيات الجوع :

---

(١) محاضرات د . لطفى عبد البديع على طلاب السنة المنهجيةسنة ١٤٠٣ هـ .

أُديمُ مطالَ الجوعِ حتى أُميتَـــه ‏ ‏ وأَضربُ عنه الذِّكر صفحًا فأَذهـــلُ

واستفُّ تربَ الأرضِ كيلا يرى لـــه ‏ ‏ عليّ من الطَّول أمــرؤٌ مـتطـولُ

ولولا اجتنابُ الذامِ لم يلفَ مشربٌ ‏ ‏ يعاشُ به الأَلديّ ومـــا ُ كَــــلُ

ولكنّ نفساً مرّةً لا تقـيمُ بِـــي ‏ ‏ على الذامِ إلاّ ريثمـــا أتحـــوّلُ

وأطوي على الخَمصِ الحوايا كما انطوتْ ‏ ‏ خُيُوطَةُ ماريٍّ تغـــارُ وتُفتـــلُ

حيث قـــال: " أملك أن ألخص هذه الأبيات بلفظة واحدة هي المكابرة " (١)

أما اذا لم يستطع الأستاذ اليوسف إجراء تحليله فسرعان ما يعدل عنه إلى سواه ، فيقول : " إن التحليل اللغوى (الفولوجى) ذو أهمية كبرى فى فهم النفـس والنص الأدبى على السواء " (٢)

والتحليل اللغوى الذى عدل إليه اليوسف ليس إلا شرحا للألفاظ وهـــذا ما يدل عليه قوله : " إن لفظة الأُضـــا ميم " توحى بالانضمام . . . وكذلـك يحتـوى البيت الأربعون (٣) على لفظتين هامتين بهذا الصدد هما " توافـين " و " ضـــم " التى تتكرر مرتين فى البيت نفسه بعد ما وردت على شكل أضاميم فى البيت السابق (٤) . وللفظة أضاميم أهمية كبرى هى الأخرى لأنها تشير إلى

---

(١) مقالات فى الشعر الجاهلى : ص ٢٢٢ .

(٢) نفس المرجع : ص ٢٣٠ .

(٣) هو قوله من اللامية :

توافيق من شتى اليه فضمهـا ‏ ‏ كم طعم اذ واد الاصاريم منهـل

(٤) هو قوله من

كأن وغاها حجرتيه وحـــوله ‏ ‏ أضاميم من سفر القبائل نزل

الوحدة والضم ، وكذلك هو شأن لفظةأُذ واد، .إن البيتين موغـــلان في تصوير التضام والتئام الأشياء" (١) .

وليس هذا ما نعنيه بالتحليل اللغوى بل نعنى به " الوقوف على الوجـود الشعرى الذى يتحقق فى اللغة باعتبارها فكرا للشعر لا يلبث الشاعر معه أن يجد نفسه ـ على ما يقول ما رلو بونتى ـ وقد أحاطت به الكلمات من كل جانب .

وفى هذه الكلمات يخلق الشاعر عالما جديدا يقيمه على أنقاض الفنـاء فى المعركة الرهيبة بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان والإنسان . وإلى هذا العالم تذهب المعانى لتتعانق مع غيرها وتدل على الوجود الشعـرى وتحققه . وفيه تتلاقى شتى الصور والتراكيب وقد تظاهرت جميعا لإبراز الدلالة الكليــة " (٢)

ولا نعنى به أيضا البحث عن لفظ مستعار أو وجه من وجوه التشبيه (٣) أو كثـير مما أفاض فيه الأستاذ اليوسف فى سياق تحليله وأفاض فيه غيره ممن درس اللامية.

---

(١) مقالات فى الشعر الجاهلى : ص ٢٣٠

(٢) الشعر واللغة : د . لطفى عبد البديع : ص ٦

(٣) نفس المرجع : ص ٦.

التحليل اللغوي للّاميّة

من المفارقات أن القصيدة التي تسمى لامية العرب ما يفتأ صاحبها يتحدث عن نفسه ، فياءات المتكلم وتاءات الفاعل من اللبنات الأساسية التى يقوم عليها بناء القصيدة، إلا أن ياءاته وتاءاته ليست من قبيل الأنانية المتسلطة بل هى ياءات وتاءات من تقاذفته الأقدار وتحامته العشيرة فلا يدرى الى أين يتجه أيبقى مع من تحاموه مكتويا بنار الذل والهوان أم يرحل عنهم صابرا على الفرقة والحرمان ؟!

يقول :

أَقيمُوا بني أمي صدورَ مَطِيِّكُمْ ... فإني إلى قومٍ سِواكم لأَميَلُ (١)

فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليل مقمرٌ ... وشُدَّت لطياتٍ مطايا وأرحُلُ (٢)

---

(١) أقام صدر مطيته إذا سار واذا توجه ،ويقول المبرد: إن أقيموا هنا بمعنى اصرفوا عنى ، مطيكم : جمع مطية وهى الناقة .

(٢) حمت بالبناء للمجهول : قدرت وهيأت . مقمر : مضيء. شدت : قويت وأوثقت . أرحل : جمع رحل وهو ما يوضع على البعير . الطيات : الحاجات.

وفي الأرض منأًى للكريم عن الأذى   وفيها لمن خاف القِلى متعزَّلُ[1]

لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئٍ   سرى راغباً أو راهباً وهو يعقـل[2]

وأقيموا..هنا معناها سيروا[3] إلا أن الشاعر آثر لفظ أقيموا لأنه وجد فيه ما ليس فى سيروا حيث أن سيروا لفظ مبهم مجرد ليس فيه فكرة إقامة صدور المطى المحسوسة، والشعر ينزع دائما إلى الصور المحسوسة المتعينة لا إلى المعانى المجردة ، فإقامة صدور المطايا تترامى إلى أشياء كثيرة فكأن المطايا هم ، وبدل أن يقول سيروا أنتم قال : أقيموا صدور مطيكم فلم يعد هناك فرق بين المطايا والبشر فالمطايا تقوم بدورهم .

وأقيموا من الإقامة والإصلاح، فإقام الصلاة أداؤها على الوجه الصحيح، فكأن إقامة صدور المطى مثل أعلى يتطلع إليه الشاعر لا تصح الحياة ولا تستقيم الأمور إلا به ، وهى تقابل " أميل " فى آخر البيت .

---

(١) المنأى : المكان البعيد . القلى : البغض والكراهية .
المتعزل: الموضع الذى يعتزل فيه عن الناس .

(٢) راغبا : الرغبة إرادة الشىء يقال رغب فى الشىء إذا أراده ، ورغبت عن الشىء زهدت فيه . راهبا : الرهبة الخوف .

٣- شرح لامية العرب للمبرد ص ١١

وأميل هذه ليست أفعل التفضيل وإنما هى بمعنى مائل لأن أميل على أنها أفعل التفضيل تفيد أنهم يشتركون مع غيرهم فى ميله إليهم ، أما أميل بمعنى مائل فإنها تدفع هذا التوهم فى ميله إليهم [1] .

وقد قال "أميل" ولم يقل "مائل" لأن الموقف ليس من السهولة بمكان ، فكلمة أميل تحمل كل عناصر التوتر والصراع فهو منهم وليس منهم أو الموقف يقتضى ألاّ يكون منهم ، فهى تحمل فى طياتها فكرة التنازع فى أن يكون منهم وألاّ يكون فكأنه بهذه الصيغة ينتزع ذاته منهم .

وهذه الصيغة التى جسدت فكرة التنازع يتجاذبها بين الاسمية والفعلية حرف الجر ولام التوكيد [2] ، كذلك كلمة " سواكم " نزعت إلى الظرفية ولم تعد للاستثناء [3] ، فالعملية كلها عملية تنازع بينه

---

(١) يقول الزمخشرى : وأميل بمعنى مائل ، وأفعل بمعنى فاعل كثير كما جاء أكبر بمعنى كبير وأوحد بمعنى واحد فليس المراد بأميل المبالغة لأنه يؤدى إلى اشتراكهم فى الميل ولم يكن كذلك . أنظر أعجب العجب فى شرح لامية العرب ص ١٤ .

(٢) أعجب العجب : ص ١٤ .

(٣) يقول الزمخشرى " وإنما استعملت ظرفا لأنها تؤدى معنى بدل ، وبدل جار مجرى مكان تقول هذا مكان هذا أى بدله فهكذا تقارب الكلمة وتناسبها" ، نفس المصدر ص ١٤ .

وبينهم وتوتـــر ..

والفـاء فى قوله :

" فإنى إلـى قـومٍ سواكم لأميــل "

واقعة فى قـلب هذا التوتر ، وقـد خرجت عن كونهـا رابطة إلى التعليق.
وقـد أخفى صيغة التعليق فلم يقـل : إن أقمتم عـلى غفلتكم وإهمالكـم
فإنى الى قـوم سواكم لأميـل (١) وذلك لأن الموقف مأساوى غامض فهـــو
منهم وهم بنـو أمــه ، حياته من حياتهم فلا بد أن يظـل الشـــرط
غامضـــا ..

وبنيــة القـصيدة تدور حول فكرة التنازع والتوتر هذه فهى تـتردد
فى القـصيدة بصور مختلفـة ويأخذ التوتر مداه فى إضافـة الضمائر فـــى
قـوله " مطيكم " أمي ، إنـي ، سواكم ، لي ، دونكم ... فكل ضمـــير
ينســـبه لهم يقابله آخر ينسبه لنفســه ..

وعـملية انتزاع ذاته منهم عـملية شاقـة فما كان منه إلا أن استحضر
كلمـة " أمي " التى توحى بالمودّة والرحمة حتي يطامـن من مشقـــة
هذه العملية ، وهذه سبيله فى حذف حرف النداء من قوله :

" أقيمـوا بني أمي صدور مطيكم "

---

(١) هذا تعبير الزمخشرى فى شرحه للبيت واقتفى أثره الدارسون ..

فكأنه بحذفه يقترب منهم إذ أن حرف النداء يجسد البعد المكانى الذى يفصل بينه وبينهم ، وهذا يفارق موقفه من القوم الذين مال إليهم إذ أن حرف الجر " إلى " يقف فاصلا بينه وبينهم ، وعلى هذا فلا موضع لما ذهب إليه الزمخشرى من أن حذف حرف النداء كان لإرادة الاختصار(١) .

وإقامة صدور المطايا والميل إلى قوم يفصل بينه وبينهم حرف الجر " إلى " بعثتا فكرة الرحيل :

فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مقمرٌ وشُدَّت لطيّاتٍ مطايا وأرحُل

والرحلة تطهير للنفس تسلك سبيلها النفوس إكبارا لذاتها التى أفسدتها المعاشرة وكثرة المخالطة ، ومع هذا فالشاعر لم يحدد لنا من سيرحل بل قال: إن آلة الرحيل قد حضرت والحاجات قدرت وتركنا بعد ذلك فى صحراء لغوية لا ندرى من الذى سيرحل أهو أم بنو أمه ؟!

ولهذا جاءت الكلمات : طيات ، مطايا ، أرحل وقد لفها التنكير بردائه .

وتقدير الحاجات عادة ما يكون من الأمور المبهمة التى تلفها أردية الكتمان من كل جانب إلا أن الشاعر قد انتزع من الليل

---

(١) أعجب العجب : ص ١٥ .

الذى قدرت فيه حاجاته حقيقته الزمانية المقترنة بالظلمة والكتمان فجعله ليلا مقمرا كالنهار ، وذلك حتى يخفف من وطأة انتزاع ذاته منهم .

وحركة الليل المقمر التى تقف مفارقة لتقدير الحاجات المبهم ما كانت لتروق للشراح مما دعا الزمخشرى إلى ترجيح كون جملة "والليل مقمر" مستأنفة لا حالية حيث قال: " والليل مقمر" جملة من مبتدأ وخبر مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ويجوز أن يكون حالا ، والأول أجود إذ ليس مقصوده أن الحاجات قد حضرت فى هذه الحالة وإنما مقصوده الإخبار بأن لا عذر لهم ليجدوا فى أمورهم[1].

والأرض ملاذ التائهين يستجلونها كلما أحسوا بكرهٍ أو ضيق :

وفى الأرض منأىً للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعزّل

لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

وقد أثبت لها شيئا ونفى شيئا آخر : أثبت لها كونها منأىً ومتعزلاً ونفى عنها الضيق ، والمنأى والمتعزل ربما انطويا على نوع من الضيق

---

(١) أعجب العجب : ص ١٥ .

الا أن الشاعر يدفعه بحركة السرى ، وكأن مادفعة الضيق لا تتأتى الا بحركة السرى وما يواكبها من مصاعب وأهوال .

والمنأى والمتعزل جوهريان فى هذا السياق لا يغنى أحدهما عن الآخر ؛ فالمتعزل فيه نوع من الخفاء ليس فى المنأى فبإمكان من فى المنأى أن يرى وهذا بخلاف من يكون فى المتعزل . وقد تجسد هذا الخفاء والظهور على صعيد اللغة حيث جاءت الأرض اسما ظاهرا مع المنأى فى حين أنها جاءت ضميرا مع المتعزل ، والضمير فيه نوع من الخفاء ليس فى الاسم الظاهر .

الفصل على مستوى اللغة :

ومحاولة الشاعر الانفصال عن بني أمه وانتزاع ذاته منهم تجسدت على صعيد اللغة ، وقد امتد هذا التيار فى القصيدة بحيث كان أحد المقومات التى قام عليها بناؤها ، فقد فصل بين الفعل والفاعل فى قوله :

وإني كفاني فقدَ من ليس جازياً   بحسنى ولا فى قربه متعلّل
ثلاثةُ أصحابٍ: فؤادٌ مشيّعٌ   وأبيض إصليتٌ وصفراءُ عيطل

وقوله :

ولستُ بمحيارِ الظَّلامِ إذا انتحت هدى الهوجلِ العِسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ

وقوله :

هَمَمْتُ وهمَّت وابتدرنا وأسدلت وشمَّرَ منِّي فارطٌ متمهِّل

وقوله :

توافين من شتَّى إليه فضمَّها كما ضمَّ أذوادَ الأصاريمِ منهل

وقوله :

فإن تبتئس بالشنفرى أمُّ قسطَلٍ لما اغتبطت بالشنفرى قبلُ أطول

وقوله :

وأُعدِمُ أحياناً وأغنى وإنَّما ينالُ الغنى ذو البُعْدَةِ المتبذِّل

وقوله :

وليلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها وأقطُعَه اللاتي بها يتنبَّل

وفصل بين الفعل ونائب الفاعل في قوله :

فقد حمت الحاجاتُ والليل مقمرٌ وشدَّت لطيَّاتٍ مطايا وأرحل

وفصل بين كان واسمها في قوله :

وما ذاك إلَّا بَسْطَةٌ عن تفضُّلٍ عليهم وكان الأفضلَ المتفضِّلُ

وقوله :

وأصبح عنّي بالغُمَيصَاءِ جالساً فريقان مسئولٌ وآخرُ يسألُ

وفصل بين اسم إن وخبرها فى قوله :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قومٍ سواكم لأميل

وقوله :

فَعَبَّتْ غِشَاشاً ثم مرّت كأنها مع الصبح ركبٌ من أحاظة مجفل

وقوله :

ويركدن بالآصالِ حولي كأنني من العُصْمِ أدفى ينتحى الكيح أعقل

وفصل بين المبتدأ والخبر فى قوله :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعزّل

وقوله :

ولي دونكم أهلون سِيدٌ عملّسٌ وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيأل

وقوله :

شكا وشكت ثم ارعوى بعدُ وارعوت وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل

وقوله :

وفاءٌ وفاءت بادراتٍ وكلُّها على نَكَظٍ مماّ يُكاتِمُ مُجْمِلُ

وقـولـه :

ويومٍ من الشِّعْرى يذوب لُؤابُه أفاعيـه في رمضائـه تتملـمـل

و قـوله :

بعيدٌ بمسِّ الدُّهْنِ والفلي عهده له عبسٌ عافٍ من الغسْلِ محولِ

وفصـل بين المعطوف والمعطوف عـليه فى قـولـه :

ولولا اجتنابُ الذامِ لم يلفَ مشربٌ يعاشى به إلا لدي ومأكـل

وقـولـه :

غدا طاوياً يعارض الريحَ هافِياً يخوتُ بأذنابِ الشعاب ويعسِل

وقـولـه :

فألحقتُ أُولاه بأُخـراه موفيـاً علي قنـةٍ أقعـي مِراراً وأمثـلُ

وفصـل بين الصفـة والموصوف فـى قـولـه :

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلُّ تهاداه التَّنائِفُ أطحـلُ

وقـولـه :

فضجَّ وضجَّت بالبراحِ كأنهـا وإياه نوحٌ فوقَ علياءَ ثكَّـلُ

وانتزاع الشاعر ذاته من أهـله الذى اختفى تحت كلمات الأبيـات

فى مستهل القصيدة ما لبث أن تجلى :

ولي دونكم أهلون سيدٌ عملسٌ وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ (١)

همُ الأهلُ لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذل (٢)

وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غيرَ أنني إذا عرضت أولى الطرائدِ أبسلُ (٣)

وإن مُدَّتِ الأيدي إلي الزادِ لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجلُ (٤)

فاكتسب الأهل التعريف فى حين أن التنكير كان يلفهم برداءه :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى أهل سواكم لأميل

---

(١) السيد : الذئب . الأرقط : النمر . العرفاء : الضبع . العملس : السريع ، أو الذى فيه سواد وبياض . الزهلول : الأملس . جيأل : اسم للضبع .

(٢) ذائع : منتشر . جرّ : جنى .

(٣) الأبي : الذى يأبي الذل . الباسل : الشجاع . الطرائد : جمع طريدة وهى الفريسة التى تطارد .

(٤) الجشع : النهم وشدة الحرص .

انتزاع الحقيقة الشعرية من الأضداد والمتنافرات :

والعلاقة بين هذه الكائنات التى رأى فيها أهلا له وبين الإنسان عدائية ومتوترة ،فقصة مجير أم عامر والتى يقوم قول الشاعر :

ومن يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِهِ   يلاقي الذى لاقي مجيرُ أمِّ عامرِ (١)

شاهدا عليها ، لا تزال ذكراها عالقة بالتفكير العربى ؛ كذلك العلاقة فيما بين هذه الكائنات علاقة عداء وتنافر فالذئب والضبع لا يكونان على حال فإذا اجتمعا فى الغنم سلمت لأن كل واحد منهما يمنع صاحبه ، والعرب تقول فى دعائها : " اللهم ضبعا وذئبا " أى اجمعهما فى الغنم لتسلم ومنه قول الشاعر :

تفرّقت غنمى يوماً فقلتُ لها   يا ربِّ سلِّطْ عليها الذئب والضبعا (٢)

والعلاقة بين النمر والضبع كذلك ، فقد ذكر أن من مسح جلده بشحم الضبع ودخل على النمر فرّ النمر منه (٣) . فاستحضار هذه

---

(١) تعطير الأنام فى تعبير المنام للنابلسى ج ٢ : ٥٨

(٢) حياة الحيوان الكبرى : ج ٢ : ٨٢ (٣) نفس المصدر ج ٢ : ٣٦٥

الكائنات المتنافرة مع الانسان المتصارعة فيما بينها من شأنه أن يثير نوعا من التوتر والمفارقة والصراع.

والشاعر ليس ممن يجهل حقيقة هذه الكائنات ، ومما ينزه اختياره قوله لقاتليه من بني الانسان :

لا تقبُروني إنّ قبري محرّمٌ عليكم ولكن أبشري أمّ عامرِ(١)

فهو يدرك أن العلاقة بين الضبع والإنسان علاقة تنضح بالدم وتمتد آثارها إلى ما بعد الموت من نبش للقبور وإغارة على الجثث الهامدة ..

ومما يزيد المفارقة حدة أن الضبع تدل رؤيته على كشف الأسرار والدخول فيما لا يعني (٢) في حين أن الشاعر يقول :

همُ الأهل لا مستودع السر ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جرّ يُخذل

وفراق الأهل وانتزاع الذات منهم مألوف في شعر الصعاليك ، يقول تأبط شرا :

---

(١) الطرائف الأدبية : ٣٦

(٢) حياة الحيوان الكبرى : جـ ٢ : ٨٣.

إني زعيمٌ لئن لم تتركوا عَذَلي   أن يسألَ الحي عني أهل آفاق

أن يسأل القوم عنّي أهلَ معرفةٍ   فلا يخبرهم عن ثابتٍ لاق (١)

على أن هناك فرقا بين الفراقين ،ففراق الشنفرى فراق لكل بني الإنسان في حين أن فراق تأبط شرا فراق لمن يعرفه إلى من لا يعرفه منهم .

والأهل لا تتقوم حقيقتهم بالاشتراك في النسب أو ما شاكله مما هو معهود إنما تكون :

ب : عدم إذاعة الأسرار

عدم خذلان الجاني

الإباء والبسالة

----

(١) المفضليات : ص ٣٠ .

تجاور النفي والإثبات في إبراز الحقيقة الشعرية :

وسبيله في الوصول إلى حقيقة الأهل الشعرية يقوم على تجاور النفي والإثبات ، وهذا يساوق طريقته في قوله :

وفي الأرض منأًى للكريمِ عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعزّل

لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئٍ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

وفي قوله :

وكلٌّ أبِيٌّ باسلٌ غير أنني اذا عرضت أولى الطرائد أبسلُ

وإن مدّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم اذ أجشع الناس أعجل

فهو أبسلهم ولكنه ليس بأعجلهم في مد اليد إلى الطعام ..

والبسالة تقتضي العجلة فكأنه يقول : أنا عجل وغير عجل ، عجل في اللحاق بالطرائد وغير عجل في مد اليد إليها ، وتلك سبيله حينما جعل الأرض منأى ومتعزلا وهما ينطويان على نوع من الضيق مع أنه نفى الضيق عنها :

لعمرك ما في الأرضِ ضيقٌ على امرئٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

أما الأيدى فقد خصها بالذكر لأنها من بين جوارحه القادرة علي السيطرة علي الفعل .. وربما كان في حديثه عن نفسه ما يشعر بالاستعلاء علي أهله الجدد مما يؤدى إلى إرابتهم وأذاهم إلا أنه طامن من هذا الاستعلاء وحد من عنفوانه :

وما ذاك الا بَسطةٌ عن تفضّل   عليهم وكان الأفضلَ المتفضِّلُ[١]

فكل ما صدر عنه كان لمجرد الإحسان والسعة ..

وكما أقام الأهلية علي سمات مثالية كذلك أقام الصحبة التي عادة ما تقوم علي المنفعة وتبادل المصالح حيث حررها من تلك الرذائل وأقامها على سمات مثالية جديدة .

وإنى كفانى فقد من ليس جازيا   بحسنى ولا فى قربه متعلل[٢]

ثلاثة أصحاب فؤاد مشيَّعٌ   وأبيضُ إصليت وصفراء عيطل[٣]

---

(١) البسطة : السعة والتفضل والاحسان . الأفضل : الذى يفضل غيره المتفضل : الذى يدّعي الفضل علي أقرانه .

(٢) التعلل : التلهي بالشيء والمتعلل هو الشيء الذى يُتعلّل به .

(٣) مشيع : شجاع مقدام . إصليت : مجرد من غمده . عيطل : قوية

وحركة الثلاثة الأصحاب تساوق حركة الأهلين فهما تمثلان تشكلا لغويا لعملية الاعتياض عن بني أمه ، والتشكل اللفظى للبيتين اللذين ورد فيهما ذكر الأهلين والأصحاب يثبت هذا التساوق وينميه :

ولى دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

... ...

ثلاثة أصحابٍ فؤادٌ مشيّعٌ وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطل

فالعرفاء اسم للضبع وهى توازى الصفراء التى هى اسم للقوس ، وأرقط للنمر يوازى أبيض للسيف وهما لونان، فكأن الشاعر ينتزع الحقيقة الشعرية من نعوت هذه الكائنات ، أما أسماؤها فيخفيها ويعفى عليها .

وقد أفضى به الحديث عن القوس إلى ما يشبه الوجود الإنساني؛ فالقوس امرأة وسهمها هو ولدها أو زوجها الذى تشكل لفقده ، ولا عجب فى ذلك فهو يقيم وجوده فى هذه القوس وما ثكلها من خروج سهمها عنها إلا ثكله من خروجه عن بني أمه ،أليس قوله :

هتوفٌ من الملسِ المتونِ يزينها رصائعُ قد نيطت إليها ومِحْمَلُ(١)

---

(١) الهتف : الصوت يقال : هتفت الحمامة أى صوتت وصاحت. والملاسة ضد الخشونة ،والمتون : الصلبة . الرصائع : السيور التى يزين بها القوس .

إذا زلَّ عنها السهمُ حنت كأنها مرزأةٌ ثكلى ترنُّ وتعـــول (١)

مجسداً لعمق مأساته ..

لذلك فقد أفاض في الحديث عنها مما لم يكن مثله لغيرها من بقيــة الصحبــة . ومن هنا يتضح عدم السداد فيما ذهـب إليه اليوسف في تحليلـه النفسي حين قـال :" ولكن لماذا القوس علي وجه الحصر؟ أي لماذا لم يطنب في وصف السيـف ؟ . يبدو أن المجتمع الجاهلي لم يكن قد تجاوز مرحلـة الصيد بعد ، الأمر الذى من شأنـــه أن يجعل القوس أهم أداة يمتلكها الانسان ..

هـذه مسألة عامـة ، ولكن القوس تخص الشاعـر بمفرده هنـا ، إن هذا المنبوذ لا يملك أن يواجه أعداداً كبيرة من النـاس (وأعـداؤه كثر) في قتال قريـــب ، فهو مرغم إذن على الركون إلى المصاولـة وفقـــا لمبــدأ اضرب واهرب ، الأمر الذى يتحـــقق بالقـوس لا بالسيف(٢)»

---

(١) زل : خرج . المرزأة : التى تعتادها الرزايا . تعول : ترفع صوتها بالبكاء والعويـل .

(٢) مقالات فى الشعر الجاهلي : ص ٢٢٧ .

ثم إن الشنفرى قد أفاض في وصف السيف :

إذا فَزِعُوا طارت بأَبيَضَ صارمٍ   ورامَتْ بما في جَفْرِها ثم سلَّتِ
حُسامٍ كلونِ المِلْحِ صافٍ حديدُه   جُرازٍ كأَقطاعِ الغَدِيرِ المُنَعَّتِ
تراها كأَذنابِ الحَسِيْلِ صوادِراً   وقد نَهِلَتْ من الدِّماءِ وعَلَّتِ (١)

فهل تبدلت الأحوال أم هو الإسقاط كل الإسقاط الذى نجربه على الأشياء كيفما نشاء ؟ !

وفراق الأهل يوهم بتزعزع الذات وأن فيها ما يوجب فراقها لهذا قال :

ولستُ بمهيافٍ يُعشِّي سَوامَهُ   مُجدَّعةً سُقبانُها وهْيَ بُهَّلُ (٢)
ولا جُبَّأٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بعِرْسِه   يطالِعُها في شأنه كيف يفعل (٣)

---

(١) من تائيته المفضلية ومطلعها :
ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت   وما ودعت جيرانها إذ تولت
المفضليات : ص ١٠٨ .

(٢) المهياف : السريع العطش . السوام : الماشية التى ترعى . مجدعة : سيئة الغذاء . السقبان : جمع سقب وهو ولد الناقة . بهل : جمع باهل . وهى الناقة التى لا صرار عليها .

(٣) الجبأ : الجبان . الأكهى : الأبخر الكدر الأخلاق .

ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كأنَّ فـؤادَه　　يظلُّ به المُكّاءُ يعلو ويسفُل (١)

ولا خالفٍ دارِيّـةٍ متغـزِّلٍ　　يروحُ ويغدو داهناً يتكحَّـل (٢)

ولستُ بِعَـلٍّ شرُّهُ دون خيرِه　　أَلَفَّ إذا ما رعتَه اهتاج أعزل (٣)

ولستُ بمحيار الظلامِ اذا انتحت　　هدى الهوجل العسّيف يهماءُ هوجل (٤)

فنفي النقيصة وجه من وجوه إكبار الذات التي تنمو بمعانقة الفضائل وتجنب الرذائل ..

والنقيصة وجه سالب هدام فما كان من الشاعر إلا أن أقام من النفي سياجا تحصن به من أدرانها ، كما حصن به أهله أيضا :

هم الأهلُ لا مستودعُ السِّرِّ ذائعٌ　　لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذل

مما يعني أن النفي هو الوسيلة التي يعول عليها في إلغاء النقيصة

---

(١) الخرق : الدهش من الخوف أو الحياء . الهيق : الظليم وهو ذكر النعام . المكاء : طائر .

(٢) الخالف : الذى لا خير فيه . الداري : الذي لا يبرح الدار .

(٣) العل : القراد ، ومن الرجال المسن الصغير . الألف : العاجز الذى لاغناء عنده .

(٤) المحيار : المتحير الضال . انتحت : اعترضت . الهوجل : الرجل الطويل الذى فيه تسرع وحمق . العسيف : الآخذ على غير طريق . هوجل : آخر الفلاة التى لا أعلام بها . يهماء : الفلاة لا يهتدى بها .

وإسقاطها ، ونفى هذه النقائص عن ذاته يؤول إلى ما يشبه الفخر... ولم يبعد الشاعر حين أتبع هذا الفخر بصراعه مع قومه ، ففخره ينطوى على نوع من الصراع مع الطبيعة ومع الذات ، وقد تجسد صراعه مع الطبيعة فى قوله :

ولست بمهيافٍ يعشّي سوامَه مجدعةً سقبانُها وهيَ بُهَّلُ

وفي قوله :

ولست بمحيارِ الظلامِ اذا انتحت هدى الهوجلِ العِسِّيفِ يهماءُ هوجل

فالمهياف -كما فى اللسان- السريع العطش ، وهاف واستهاف : أصابته الهيف فعطش . والهيف : كل ريح ذات سموم تعطش المال وتيبس الرطب(١) .

فكأننا أمام إنسان شعري خارق يستعلي على قوانين الطبيعة فلا تعطشه هيفها ولا يحيره ظلامها .

أما صراعه مع ذاته فيتمثل فى حرمانها من الملذات وإلزامها بالشظف والمكابدة ، فهو لا يقيم مع زوجته ولا يدهن ولا يكتحل .

---

(١) لسان العرب - مادة "هيف".

والشاعر فى صراعه هذا يدمر الحقيقة العقلية ويقيم بدلا منها حقيقة شعرية فلم يعد التدهن والتكحل فضيلة بل نقصا، ولم تعد ملازمة الزوجة مما يؤبه به فى هذا السياق . وبهذا يسمو الشاعر بشعر الفخر العربى من مرحلة الاعتداد بالآباء والأجداد والفخر بالقبيلة إلى مرحلة الاعتداد بالذات وقدرتها على الصراع ، وهذا يتسق مع مادة القصيدة الشعرية التى تمجد الفردية ولا تنزع إلى ما عداها.

وقد ذهب بعض الشراح إلى أنه أضاف محيارا فى قوله :

ولست بمحيار الظلام اذا انتحت　　　هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل

" إلى الظلام لوجهين : أحدهما أنه على معنى محيار فى الظلام كقوله عز وجل =(بل مكر الليل والنهار)=[1] أى مكرهم فى الليل والنهار، والثانى أنها إضافة سبب ومعناه أن الظلام يورث الحيرة "[2] وفرق بين التقدير من جهة ولفظ الشاعر من جهة أخرى ، فنحن هنا أمام مستويين من الكلام لفظ الشاعر : " ولست بمحيار الظلام "، والتقدير

---

(١) سورة سبأ : آية ٣٣

(٢) شرح لامية العرب للعكبرى : تحقيق محمد خيرالحلوانى ص ٣٠

ولست بمحيار في الظلام ، وهذا التقدير شيء آخر غير لفظ الشاعر ، ونحن حينما نقدر نخرج على لفظ الشاعر وهو أحق بالقبول من التقدير ما دام لا يحوج إليه الكلام .

والشاعر بقوله : ولست بمحيار الظلام ، إنما يقيم من الظلام ذاتا يضع نفسه في مواجهتها ، وكل تقدير من شأنه إفساد هذا التركيب..

وإقامة الشاعر للظلام ذاتا تنطوي على محاولة على بعث الحياة في هذه الجوامد وإعطائها قدرة على الحركة تمكنها من الصراع والمجاذبة ، وهذا شأنه مع كثير من معاني اللامية ، فالجوع في قوله:

أديمُ مطالَ الجوعِ حتى أميتَه وأضربُ عنه الذكرَ صفحاً فأذهل

لم يعد ذلك الشبح الجامد الذي نحسه في البطون ولا سبيل للتعامل معه إلا بملء هذه البطون بل التعامل معه هنا أخذ منحى شعريا يتجسد في طاله وإماتته ، وكذلك القوت في قوله :

فلما لواه القوتُ من حيثُ أَمَّه دعا فأجابته نظائرُ نحّل

أصبح من المعاني الفاعلة التي تقف بمواجهة الشاعر ، وهذا ما حدا بالزمخشري إلى القول بأن الشاعر قد تجوز بقوله " لواه القوت " (١)

---

(١) أعجب العجب : ص ٣٩

أما الجنايات في قوله :

طريدُ جِناياتٍ تياسرن لحمَه ... عقيرتُه لأيِّها حُمَّ أَوَّلُ

تنامُ إذا ما نامَ يقظَى عيونُها ... حثاثاً إلى مكروهه تتغلغل

فقد ذهب فيها مذهبه مع الظلام والجوع والقوت ، وهذا ما جعل الشراح يذهبون إلى أنه عبر بالجنايات عن مستحقيها (١) ، فكأن الذين يطاردون والذين عيونهم يقظى هم أهل الجنايات لا للجنايات .

وقد ألقت الشاعرية على النقائص التى نفاها الشاعر شبكة من العلاقات التى تفضي بها إلى ما يشبه الثبات وعدم الحركة ، فالمهياف يحد العطش من حركته فيجمد فى مكانه والجبأ يلازم بيت زوجته ، والخالف يبقى فى داره لا يفارقها ، والمحيار يداهمه الظلام فلا يطيق السرى . والشاعر بنفيه لهذه النقائص إنما يمجد الحركة ويضيق بالثبات . وهذا يتسق مع ما ذهب إليه في بداية القصيدة من تمجيد للسرى وتحضير لآلة الرحيل ، وقد قال الشاعر " سوامه " :

ولست بمهيافٍ يعشِّي سوامه ... مجدعة سقبانُها وهي بُهَّلُ

---

(١) أعجب العجب : ص ٥٦ .

ولم يقل «إبله» أو ما شابهها وفاء لحق الحركة ؛ فالسوام هي المال الراعي ، فكأن الشاعر وجد فيها قدرة ليست في لفظة الإبل ، وكذلك كان اختياره لكلمة " مرب " :

ولا جبأ أكهى مُرِبٍّ بعِرسِه   يطالعُها في شأنِه كيفَ يفعَلُ

فقد كان بإمكانه أن يقول " مقيم " على ما فسرها به الشراح لولا أن الشاعر يريد أن يختار كلمات لها تاريخ طويل تستطيع معه تمثيل الصراع بين الحركة والثبات والتي كانت " سوامه " ، قد جسدت الجانب الأول منه بينما جسدت " مرب " شقه الثاني ، فالسوام تقابلها الربائب وهي الغنم التي يربيها الناس في البيوت لألبانها ، وغنم ربائب : تربط قريبا من البيوت وتعلف لا تسام (١). وقد أيقظت لفظة " سوامه " لفظة " مرب " إلى هذا السياق ومن هنا كان إيثارها على لفظة «مقيم».

والشاعر وإن افتقد العدل والمساواة في عالم الواقع فقد أقام كلمات قصيدته عليها ، فالاسم يتودد إلى الفعل ويوازيه وكذلك الفعل ويتضح هذا بجلاء في سياق النفي السابق فحين يكون النفي بلست

---

(١) لسان العرب : مادة " ربب ".

الفعلية تكون كلمة القافية اسما :

ولست ... ... بهل

ولست ... ... أعزل

ولست ... ... هوجل

وحين تكون لا النافية فى بداية البيت تكون كلمة القافية فعلا :

ولا جبأ ... ... يفعل

ولا خرق .. .. يسفل

ولا خالف ... ... يتكحل

وبعد أن أكبر ذاته من خلال نفي النقائص أخذ فى تنمية هذا الإكبار من طريق إثبات الفضائل ، وهذا يساوق طريقته فى إثبات الحقيقة عن طريق تجاور النفي والإثبات :

إذا الأمعزُ الصَّوانُ لاقى مناسِمِى   تطايرَ منه قادحٌ ومفَلَّلُ (١)

أُدِيمُ مِطَالَ الجوعِ حتى أميتَه   وأضربُ عنه الذِّكْرَ صفحاً فأَذهَلُ (٢)

---

(١) الأمعز : المكان الصلب الكثير الحصي . الصوان : الحجارة الملسى . القادح : الذى تخرج منه النار.

(٢) أضرب عنه : أعرض . أذهل : أنسي .

وأستفُّ تربَ الأرضِ كيلا يرى لـه ... عليَّ من الطَّولِ امرؤٌ متطول (١)

ولولا اجتناب الذام لم يلفَ مشربٌ ... يعاشُ به إلا لديَّ ومـأكَلُ

ولكنّ نفساً حرَّةً لا تقيمُ بـي ... على الذامِ إلاَّ ريثما أَتحوَّلُ (٢)

وأطوي على الخَمصِ الحوايا كما انطوت ... خيوطةُ ماريٍّ تغارُ وتفتـلُ (٣)

والشراح والدارسون المعاصرون طامنوا من محاولته إكبار ذاته هذه بتفسيراتهم لقوله :

إذا الأمعز الصَّوَّانُ لاقي مناسِمي ... تطايرَ منه قادحٌ ومفـلَّلُ

حيث فسره المبرد بقوله : " إذا أصابت رجلي حجرا قدحت منه نار وكسرته "(٤)

وفسره الزمخشري بقوله : " إن سيري سريع فإذا لاقت مناسمي حجارة تطاير منها نار ، والمفلّل : المكسر. ومراده أن النار تخرج منه مع تكسره وذلك أبلغ في قوة مناسمه "(٥). وذهب بعض المعاصرين إلى

---

(١) الطول : المن .

(٢) الذام : العيب .

(٣) الخمص بالفتح : الجوع وبالضم ضمور البطن . الحوايا : جمع حوية وهي الأمعاء . الخيوطة : السلوك . ماري : اسم رجل ، وقيل اسم للفاتل . تغار : يحكم فتلها .

(٤) شرح لامية العرب للمبرد : ص ٣١ . (٥) أعجب العجب : ص ٣١ .

أسوأ مما ذهبا إليه حين قال " والمعنى أنني حين أعدو تتطاير الحجارة الصغيرة من حول قدمي ويضرب بعضها فى حجارة أخرى فيتطاير منها شرر نار وتتكسر ،ويلاحظ أنه جعل قدميه لا تلاقي الصوان وإنما تلاقي المكان نفسه وهو الأمعز مبالغة فى أن سرعة جريه تجعل الأماكن لا قيمة لاتساعها فكأن قدميه تلاقي هذا الوادى مثلا هذه اللحظة ثم الوادى الآخر بعد ذلك وكأن كل خطوة فى واد .. " (١)

واللغة الشعرية لا تستقيم من تلك الجهات التى أسرف الشراح والباحثون فى ذكرها وإنما تتأتى من لاقي ومناسمي وتطاير ، فالأمعز الصوان هو الذى يلاقي مناسمه وليست مناسمه هي التى تلاقيه ، فهذه الكلمة " لاقي " تبعث فى الأمعز الصوان الصلب الثابت قدرة على الحركة وهذا هو الجديد فى لغة القصيدة ، أما أن تكون المناسم هى التى تلاقي الأمعز الصوان فهذا مألوف لا جديد فيه .

وكما أن كلمة " لاقي " تقاوم ثبات الأمعز الصوان كذلك كلمة "تطاير" تقاوم صلابته ، وبتحريك اللغة للثابت وتكسيرها للصلب تبرز كلمة "مناسمي"

---

(١) لامية العرب للدكتور عبدالحليم حفنى : ص ٢١ .

لأنها أقدر علي تجسيد الفعل من كلمة " أقدامي " التى تتبادر إلى الأذهان . وفى هذه اللحظة نكون بمواجهة كائن آخر له مناسم الجمال ورجلاه عاملتان عظيمتان يقطع بهما الوديان :

وخَرقٍ كظهرِ التُّرسِ قَفْرٍ قطعتُه بعاملتين ظهرُه ليس يُعْمَلُ (١)

أما شَعْرُه فيقوم مقام الذنب من الناقة :

وضافٍ إذا هبت له الريحُ طيَّرت لبائدَ عن أعطافِه ما تُرَجَّلُ (٢)

بعيدٌ بمسِّ الدهنُ والفَلْيِ عهدُه له عبسٌ عافٍ من الغِسْلِ مُحْوِلُ (٣)

وهذا كله وجود شعرى لا واقع ، وأى قياس له بمقياس الواقع يقودنا إلى مثل ما ذهب إليه الدكتور أبو حمده حين قال : " أما أن يتصور أن قدمه أصبحت من الصلابة بحيث تقدح فى اصطدامها مع الصوان نارا فتلك مبالغة مستهجنة وما نظن أحدا من شعراء الجاهلية قد تجرأ عليها " (٤) ، وربما قاد هذا إلى محاولة تغيير رواية القصيدة

---

(١) الخرق : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . قفر : ليس بها أحد

(٢) الضفو : السبوغ . اللبائد : جمع لبيدة ، وهى الشعر المتراكب بين كتفيه . ترجل : تسرح .

(٣) عاف : كثير . محول : أتي عليه الحول .

(٤) فى التذوق الجمالى للامية العرب : ص ٤٢ .

كما فعل الشاوى حينما وضع " غبش "(١) بمعنى سواد بدلا من " عبس " وهو ما يتعلق بأذناب الإبل من أبوالها وأبعارها (٢) .

والألفاظ تتجاذب ويؤول بعضها إلى بعض فى تيار خفي يسرى في القصيدة " فعبس " و " عاملتان " آلتا من آخر القصيدة إلى " مناسمى " فى أولها .

وكلف الشاعر بمعانى الألم أمر لا ينقضي منه العجب فبعد الظلام :

ولستُ بمحيارِ الظَّلام إذا انتحت هدى الهوجلِ العسيف يهماءُ هوجلُ

جاء بالجوع :

أُديمُ مِطَالَ الجوع حتى أُميتَه وأَضربُ عنه الذكرَ صفحاً فأَذهلَ

" والجوع ينبوع أول من ينابيع الشعر كالحب والموت ولكنه ينبوع مظلم مدمر تتفجر منه لغة تأخذ فى كل وجه إلى خارج النفس طباقا للحقيقة التاريخية التى يحياها (الانسان الحيوان) منذ إنسان الكهوف إلى إنسان السهول والجبال والصحارى "(٣) .

---

(١) سكب الأدب على لامية العرب : لوحة ١٦٤ .
(٢) أعجب العجب : ص ٦٦ .
(٣) الشعر واللغة : ص ٧٠ .

ومع هذه الحقيقة المظلمة المدمرة للجوع فإن شاعرنا لم يقف منه موقفا سلبيا فلم يهم بتذبيح الكلاب كما فعلت بنو أسد :

وهمَّت بتذبيحِ الكلابِ من الذى بها أسدٌ اذ أَمسكَ الغيثُ ماطرُه

ولم يستسغ حوافر الحمار كما فعلت بنو ذبيان :

وقالت بنو ذبيان إن حمارَنـا طعامُ حيا جوفانُه وحوافرُه (١)

ولم يذهب إلى عظيم يستجديه لقمة تسد رمقه كما فعل الفرزدق بل كان له من الجوع موقفان : موقف يذهب بالجوع فيه إلى عالم الموت وآخر الى عالم الأسر والقيد وكلا الموقفين يلغى الجوع ويقصيه :

أُديم مطال الجوع حتى أُميتَه وأَضرب عنه الذكر صفحا فأَذهل

وأطوي علي الخَمص الحوايا كما انطوت خُيُوطَـةُ ماريٍّ تغـارُ وتفتـلُ

وإذا كان عالم القصيدة قد ألغى الجوع وأقصاه فإن الحوايا التى عادة ما تكون مستودعا للأكل والشراب لم تعد كذلك بل آلت إلى خيوط يقيد بها الجوع :

وأطوي علي الخمص الحوايا كما انطوت خُيُوطَـةُ ماريٍّ تغـار وتفتـل

---

(١) البيتان من قصيدة مطلعها :

كم من مناد والشريفان دونه إلى الله تشكى والوليد مفاقره

انظر ديوان الفرزدق : ص ٣٠٩ وما بعدها

والذين يعتدّون بالفنون البلاغية ويجعلونها وكدهم الذى لا ينقضى لا يرون فيه إلا لونا من ألوان التشبيه أما ما وراء ذلك من جوع أسير وحوايا تستحيل إلى قيد لهذا الأسير فلا مسوغ له ..

وإذا كان الشاعر قد استعان بالحوايا فى تقييد الجوع فليس معنى هذا أنه وحيد ليس له معين بل إن له أما لن ترأمه ولن تسلمه ، وتربها يقوم له مقام الزاد :

وأستفّ تُربَ الأرضِ كيلا يُرى له ... علىّ من الطول امرؤٌ متطول

وتشبثه بالأرض والتصاقه بتربها يساوق ما كان قد أثبت لها من حقيقة :

وفى الأرض منأًى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متعزّل

لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئٍ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

فهو يلوذ بها إن نزل به ضيق أو مكروه ويستنزلها فى صراعه مع الجوع .

والشاعر ليس ممن يعييه الحصول على الزاد فهو بالنسبة له سهل المنال إلاّ أن لغة القصيدة تأبى أن يكون له ما أراد إلاّ بعد عناء

وجهـــاد :

وأَغدُ وعلى القوتِ الزَّهيدِ كما غدا أزلُّ تهاداه التّنائفُ أطحـلُ (١)

غدا طاوياً يعارضُ الريحَ هافيـاً يخوتُ بأذنابِ الشِّعابِ ويعسلُ (٢)

فلما لواه القوتُ من حيثُ أَمَّـهُ دعا فأجابتْه نظائرُ نُحَّـلُ (٣)

"فأغدو" وعلى رواية المبرد " أعدو " تجسدان هذه المعاناة الـتي يلاقيها الشاعر في سبيل الحصول على الزاد ، ومما يزيد هذه المعاناة حدة قـولـه :

فلما لواه القوتُ من حيثُ أَمَّـه دعا فأجابته نظـائرُ نُحَّـلُ

فهو لم يقـل : " فلما لم يجد القوت " بل قال : " إن القـوت نفسه يتأبى عليه ، فكأنه يتظاهر عليه مع بقيـة المعاني ، ولـو قـال : " لما لـم يجد القوت " لما قام القوت بهذا الـدور..

---

(١) الزهيد : القليل. الأزل : الخفيف الوركين. التنائف : جمـع تنوفه وهى المغازة .

(٢) هافيا : يذهب يمينا وشمالا من شدة الجوع. يخوت : ينقـض . يعسل : يسـرع .

(٣) لـواه : دفعه وتمنع عنه . أمـه : قصده . نحـل : مهازيـل.

ومع كل هذه الصعاب التى أضنت الشاعر واستنفذت طاقتـه وشلت حركته فإنه لم يستسلم بـل بث فى كلمة " التنائف " طاقـة كامنـة فيها فهي فى هـذه اللحظـة تحمله ويتكئ عليها فى محاولـة منـه للحصول على الزاد ، وهذا يتضح بجلاء من قوله " تهاداه " التى تشير إلى أنه يمشي معتمدا عليها من ضعفه وتمايـله. (١)

ولغـة القصيدة في هذا السياق تدمر المألوف والمعتاد ،فالتنائف عادة ما تقوم حائلا بين الإنسان وبين الحصول على الزاد إلا أن الشاعر دمر سلبيتها هذه وقال: إنني أعتمد عليها فى سبيل الحصول عليه. فما كان منه بعد أن حيد الشاعر التنائف عنه إلاّ أن اعتمد على ذاته وتأبي على الشاعر.

والأزل الذى يغدو على القوت الزهيد هو الشاعر ونظائره هم رفاقه الصعاليك ، وكل شئ فى عالم هؤلاء الفتية يبعث على الأسـى والمرارة والمصير المجهول :

----

(١) لسان العرب- مادة " تنف ".

مهلهلةٍ شيبَ الوُجوهِ كأنَّهــــا   قِداحٌ بِكفّيْ ياسرٍ تتقلقــــلُ(١)

أو الخَشْرَمُ المبعوثُ حثحث دبره   محابيضُ أرْداهُــنَّ سامٍ معسِّــلُ(٢)

مهرّتةٌ فُوهٌ كـأن شُدوقَهـــا   شقوقُ العِصِيِّ كالحاتٌ وبُسَّــلُ(٣)

ومع ما في هذا العالم فإنهم لم يفقدوا نصيبهم من القيم والفضائل ألم يضجوا لضجيجه ويشكوا لشكواه ؟ ألم يجيبوه حينما دعاهم ؟!. ومع أن إجابتهم كانت إجابة من ليس عنده شيء إلاّ أن من يجيب الدعـاء حري بالتقدير والثناء :

فضجَّ وضجّت بالبراحِ كأنَّهــــا   وإياه نوحٌ فوقَ علياءَ ثُكَّــلُ (٤)

---

(١) مهلهلة : دقيقة الجسم كأنها أهله في الدقة . تتقلقــل : تضطرب وتتحرك .

(٢) الخشرم : رئيس النحل . المبعوث : المسرع . حيثحث : ازعـج الدبر : جماعة النحل . المحابيض : عيدان مشتار العسـل . السامي : الذى يرتفع لطلب العسل .

(٣) المهرته : الواسعة الأشداق . الكلوح تكشر فى عبوس . بســل : كريهــة المرأى .

(٤) ضج : صاح . البراح : الأرض الواسعة التى لا شجر فيها . نوح : النساء ينحن على الموتى .

وأغضى وأغضت واتّسي واتّست به ... مراميلُ عزّاها وعزّته مُرْمِلُ (١)

شكا وشكت ثم ارعوى بعدُ وارعوتْ ... وللصّبرُ إن لم ينفعِ الشكوُ أجملُ

وفاءَ وفاءت بادراتٍ وكلّها ... على نَكَظٍ مِمّا يُكاتِمُ مُجْمِلُ (٢)

والضجيج الذى تبادلوه هوضجيج المناحة السوداء التى تعصف بالأموات دون الأحياء ، أليس الجوع راحلة الموت الذى يتقاذفهم الواحد تلو الآخر ؟ !

وقد كاد الجوع بمواجهته العنيفة يحدث شرخا فى بناء القصيدة حينما خفت حدة التوتر التي تحكم علاقة الشاعر مع ما حوله من كائنات القصيدة ، وقد بدأ خفوت هذا التوتر من حركة توجيه الدعوة لنظائره وتجلى فى قوله : " كأنها وإياه نوح فوق علياء ثكل " .. كما تجسد هذا الخفوت على صعيد اللغة ، فكل فعل ينسبه الشاعر لنفسه يكون منسوبا لنظائره فى نفس اللحظة :

---

(١) الإغضاء : إدناء ، الجفون بعضها من بعض .

(٢) فاء : رجع . بادرات ، مسرعات . النكظ : العجلة . يكاتم : يكتم ما عنده . مجمل : يعامل صاحبه بالجميل .

فضج وضجت

وأغضي وأغضت

واتسي واتست به

عزاها وعزته

شكا وشكت

ارعوي وارعوت

وفاء وفاءت

إلاّ أن الشاعر ما لبث أن عاد لتنمية حالة التوتر هذه :

وتشربُ أسآري القطا الكُدْرُ بعدما سرتْ قرباً أحناؤها تتصلصلُ (١)

هممت وهمّتْ وابتدرنا وأسدلتْ وشمّر مِنّي فارطٌ متمهّلُ (٢)

فولّيتُ عنها وهي تكبُو لِعُقْرِه يُباشِرُه منها ذُقونٌ وحوصلُ (٣)

كأن وغاها حجرتيه وحوله أضاميمُ من سَفْرِ القبائلِ نزّلُ (٤)

---

(١) الأسآر : بقية الشراب . الأحناء : الجوانب . تتصلصل : تصوت

(٢) أسدل ثوبه أي أرخاه .

(٣) تكبو : تسقط .

(٤) وغاها : أصواتها ومنه قيل للحرب وغي .

توافينَ من شَتَّي إليه فضمَّهــا ... كما ضمَّ أذوادَ الأصاريمِ منهلُ (١)

فعبَّتْ غِشاشاً ثم مرَّت كأنَّهــا ... مع الصبحِ ركبٌ من أُحَاظَةَ مُجفِلُ (٢)

فكل فعل ينسبه لنفسه ينسب نقيضه للقطا فهي تسدل وهو يشمر وهي تكبو وهو يولي .. والجوع والعطش صنوان فلا عجب أن اتبع معاني العطش بمعاني الجوع في حركتين تكون ثانيتها تشكلا للأولى ، أليست المعاناة هي سبيله في كلتا الحركتين .. والشاعر يختار من الكائنات أشدها قدرة علي تصوير حالة المعاناة تلك ،فالذئاب موقفها من الجوع معروف كذلك القطا حيث أنها أسرع الطير وردا (٣) .

وقد تجسدت المعاناة في حركة القطا من خلال ثلاثة أشياء : السري ، وتصلصل الأحناء ، ومسابقة القطا .. والسري بما يشتمل عليه من مصاعب وأهوال قادر علي بث المعاناة ، وهو جوهري في القصيدة ، ألم يدفع به حاله الضيق :

لعمرك ما في الأرضِ ضيقٌ على امرئٍ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

---

(١) شتى : متفرقة . الأصاريم : جمع صرمة من الابل وهي ما بين الثلاثة الى العشرة .

(٢) العب : شرب الماء من غير مص . أحاظة : مكان .

(٣) شرح لامية العرب للمبرد : ص ٥٠ .

وقد أخذ الشعور بالتعاظم مداه في حركة القطا فلم يقل سؤرى وإنما قال أسآرى لما فى الجمع من قدرة علي تمثيل الكثرة والتعدد فكأننا فى هذه الحركة أمام كائن يقوم مقام أشخاص لا مقام شخص ..

والتمايز بين الحركتين حركة الذئاب وحركة القطا ينبع من حالة التعاظم هذه ففي الوقت الذى كان فيه الشعور بالتعاظم خافتا في الحركة الأولي كان فى قمة حدته فى الحركة الثانية ..

والمعني الشعرى فى قوله :

هَمَمْتُ وهمّت وابتدرنا وأسدلت　　　وشَمَّر منّي فارطٌ متمهِّلُ

لا يؤخذ من مسابقته للقطا فحسب وإنما يؤخذ من قوله " وشمر " حيث جعل الثوب بمثابة الجناح ،فلم يعد الثوب ما يلبسه الإنسان للتستر به وإنما هو جناح يوازى أجنحة القطا التي أسدلتها ..

والحديث عن الجوع والعطش يفضي الى ذكر النوم والراحة والدعة " فحسبك من غنى شبع ورى " لهذا لم يبعد الشاعر حين قال :

وآلفُ وجهَ الأرضِ عندَ افتراشِها　　　بأهدأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ(١)

---

(١) تنبيه : ترفعه ، قحل : جافة يابسة .

وأعدل منحوضاً كأنَّ فصوصَهُ   كعابٌ دحاها لاعبٌ فهيَ مُثَّلُ (١)

ولكن هيهات له أن يستريح فلغة اللامية التي تبعث المعاناة في كل شيء ما لبثت أن بعثتها في حالة الراحة والدعة ، فالشاعر لم يفترش فراشا وثيرا ولم يتوسد وسادا وإنما افترش الأرض وتوسد ذراعه .

وقد انتزع الشاعر من هذه الكائنات قدرتها على بث روح الراحة والدعة فالأهدأ ليس بالمستو بل تنبيه سناسن قحل والمنحوض ليس مليئا باللحم حتى يؤدى دوره كوساد بل هو منحوض ذهب لحمه ولم يبق منه إلاّ الفصوص ..

وليس الشأن فى قوله :

وآلفُ وجهَ الأرضِ عندَ افتراشِها   بأهدأَ تنبيه سَناسِنُ قُحَّلُ
وأعدل منحوضا كأن فصوصه   كعاب دحاها لاعبٌ فهيَ مُثَّلُ

أن الشاعر أقام الصفة مقام الموصوف بل إن الشاعر اقتنص فى الصفة اسمية يشرق منها ثبات المنكب ونحول الذراع .

---

(١) المنحوض : الذى ذهب لحمه . دحاها : بسطها . مثل : منتصبه .

اقتناص الاسمية فى الصفات :

واقتناص الاسمية فى الصفات سمة نزعت إليها لغة اللامية فقد

جاءت في قوله :

ولي دونكم أهلون سيدٌ عملَّس وأرقط زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ

وقوله :

ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مشيَّعٌ وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطل

وقوله :

وأغدو على القوتِ الزهيدِ كما غدا أزلُّ تهاداه التنائفُ أطحل

وقوله :

فضجَّ وضجت بالبراحِ كأنَّها وإياه نوحٌ فوقَ علياءَ ثُكَّل

وقوله :

وضافٍ إذا هبَّت له الريحُ طيَّرت لبائدَ عن أعطافِهِ ما ترَجَّل

والمعاناة التى تحكمت فى كل شيء ما لبثت أن تحولت إلى حرب

وقتال بين القطا على ورد الماء فهى تتصارع من أجل شربة تكون

بها الحياة ، والأصوات التى تبعثها لم تعد أصوات طيور بل استحالت

أيضا إلى وغي ، وهو ما يكون من أصوات المتحاربين ، ومنه سميت الحرب وغي :

كأنّ وَغَاها حَجْرتيهِ وحولَه ... أضاميمُ من سَفْرِ القبائلِ نُزّلُ

وفكرة الحرب التي انسربت تحت أصوات القطا عند ورد الماء ما لبثت أن تجلت :

فإن تبتئسْ بالشنفرى أمُّ قسطلٍ ... لما اغتبطت بالشنفرى قبلُ أطول[1]

طريدُ جِناياتٍ تياسرن لحمَه ... عقيرتُه لأيّها حُمَّ أول[2]

تنامُ إذا ما نامَ يقظى عيونُها ... حثاثا إلى مكروهِهِ تَتَغَلْغَلُ[3]

وإلفُ همومٍ ما تزال تعوده ... عياداً كَحُمّى الرِّبْعِ أو هِيَ أثقلُ[4]

إذا وردت أصدرتُها ثُمّ إنَّها ... تثوبُ فتأتي من تُحَيْتُ ومن عَلُ[5]

---

(١) أم قسطل : الحرب .

(٢) تياسرن : تقاسمن ، كأنهن ضربن عليه بالميسر . عقيرته : نفسه وجثته .

(٣) تتغلغل : تتخلل .

(٤) حمي الربع: هي التي تأخذ الإنسان يوما وتدعه يومين ثم تجيء في اليوم الرابع .

(٥) تثوب : ترجع .

وهنا يبرز اسمه " الشنفرى" متجاورا مع الحرب وقد كان متواريـــا خلف تاءات الفاعل وياءات المتكلم ، فكأنما في الحرب قدرة ليست في سواها تمكنت بها من إيقاظ اسمه واستثارته .. ومع هذا فبروزه متجــاورا معها ليس بروز المتشكي منها بل بروز الفاعل المؤثر فيها إنْ غـــاب ابتئســت وإن حضر اغتبطت ، وهو بهذا يخالف غيره من الشعراء الذيـن يتشكون من ويلات الحرب وما تجره عليهم من الخراب والدمار.

واستمرارا منه في هذا الموقف الذي أظهر به الحرب عاجـــزة كليلة قام بصرف الحديث عنها إلى نفسه :

طريدُ جنايات تياسرن لحمَه عقيرتُه لأيِّها حُمَّ أَوّلُ

فالناس لا يتشكون من الحرب بل يتشكون منه والجنايات تطارده وتسعى للفتك به ، ومع هذا فهو متمرد لا يقدر عليه أحد فالجنايات إنما تضرب بالقداح علها تستطيع النيل منه ، أما مطاردتها له فهـــي مطاردة من لا يقدر على شيء.

وقد أضفى على الجنايات ما يشبه الوجود الإنساني فهي تضـرب بالقداح وتنام وتستيقـظ وتطارد ..

ومع أن الحرب والجنايات والهموم من الأمور التي يهتز لهـا البدن وكان حريا بها أن تقود الشاعر إلى الاستسلام إلاّ أنه نزع منها قدرتها تلك عندما واجهها بالصبر والحزم:

فإما تريني كابنةِ الرَّملِ ضاحياً   علي رقّةٍ أحفي ولا أتنعلُ (١)

فإنّي لمولَى الصّبرِ اجتابُ بَزَّهُ   علي مثلِ قلبِ السِّمْعِ والحزمَ أنعَلُ (٢)

وموقفه من الصبر والحزم لا يبعد عن موقفه من الحرب والجنايات والهموم فهو لا يتوجه لهما مستسلما مستجديا مساعدتهما بل يقسرهما علي ذلك فيلبس ثوب أحدهما ويتنعل الآخر..

والشاعر يبعث في كلمات قصيدته طاقات إيحائية جديدة فهو لا يلبس الثياب المصنوعة من الخروق بل يلبس ثوب الفضيلة فيه تستر العورات وتتلاشي العيوب ، أما الثوب المعروف فله دور آخر:

هممت وهمّت وابتدرنا وأسدلت   وشمّر منّي فارطٌ متمهّل

---

(١) ابنة الرمل : الحية. ضاحيا : بارزا . رقة : هزال.

(١) مولي الصبر : وليه . اجتاب : ألبس . بزه : ثوبه.

وكما استسلمت الحرب والجنايات والهموم والصبر والحزم للشاعر كذلك استسلم الغني والفقر :

وأعدمُ أحياناً وأَغنَى وإنَّما ينالُ الغِنَى ذو البُعدةِ المَتَبَذِّلُ (١)

فلا جَزِعٌ من خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ ولا مَرِحٌ تحتَ الغِنى أتخيَّل (٢)

ولا تزدهي الأَجهالُ حِلمي ولا أُرى سَؤولا بأعقابِ الأَقاويلِ أُنمل (٣)

والليلة النحسة :

وليلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها وأقطُعَه اللاتي بها يتَنَبَّلُ (٤)

دعست على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وصُحبتي سُعارٌ وإرزِيزٌ ووجرٌ وأفكلُ (٥)

فأيَّمتُ نِسواناً وأيتمت إِلْدةً وعدتُ كما أبدأتُ والليلُ أَليَلُ (٦)

---

(١) أعدم : افتقر. المتبذل : الذى لا يصون نفسه.

(٢) المتكشف : الذى يظهر فقره للناس. المرح : شدة الفرح.

(٣) تزدهي : تستخف.

(٤) النحس : البرد.

(٥) الغطش : الظلمة. البغش : المطر الخفيف. سعار : حر يجده الإنسان فى بطنه من شدة الجوع. إرزيز : برد. وجر : خوف. أفكل : رعده.

(٦) أليل : مظلم.

وأصبح عنّي بالغُميصاءِ جالساً — فريقان مسئولٌ وآخرُ يسألُ (١)
فقالوا لقد هرّت بليلٍ كلابُنا — فقلنا أذئبٌ عسّ أم عسّ فرعلُ (٢)
فلم تك إلاّ نبأةٌ ثمّ هوّمت — فقلنا قطاةٌ ريعَ أم ريعَ أجدلُ
فإن يكُ من جنٍّ لأبرحُ طارقاً — وإن يكُ إنساً ماكها الإنسُ تفعلُ (٣)

تقابل اليوم الحار :

ويومٍ من الشّعرى يذوبُ لُؤابُه — أفاعيه في رمضائه تتململ (٤)
نصبتُ له وجهي ولا كنّ دونه — ولا سترَ الاّ الأتحميُّ المرعبلُ (٥)
وضافٍ إذا هبّت له الريح طيرت — لبائدَ عن أعطافه ما ترجّل
بعيدٌ بمسّ الدهنِ والفَلْي عهده — له عبسٌ عافٍ من الغِسل مُحولِ

إلاّ أن التقابل نبينهما ليس تقابلا ضديا بل هو تقابل تناغم وتظاهر، فكلاهما يستجمع كل ما يملك من مصاعب وأهوال ويواجه بها الشاعر عله يقوده إلى الاستسلام.

---

(١) الغميصاء : موضع بنجد .
(٢) عس : طاف ودار.
(٣) لأبرح طارقا : لأعظم طارقا.
(٤) الشعرى : الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر.
(٥) ألا تحمي : ضرب من البرود . المرعبل : الممزق .

تظاهر الكائنات المتباينة على إبراز الحقيقة الشعرية :

والكائنات المتباينة : الليلة النحسة ، النهار الحار ، الجوع، العطش ، الظلام ، الهموم ، الحرب ، الفقر .. وكذلك الخرق الواسع:

وخرقٍ كظهر الترسِ قفرٍ قطعتُه بعاملتين ظهرُه ليس يُعمَل
فألحقت أولاه بأخراه موفِياً على قُنَّةٍ أقعي مِراراً وأمثُلُ

تظاهرت جميعا على مواجهة الشاعر والتصدى له ، فكأنما هي أقانيم تجسد حياة المأساة التى يعايشها ..

وانتصار الشاعر على هذه الكائنات المتظاهرة هو الغاية التي ليس بعدها غاية وبتحققه تكون النهاية ، نهاية الصراع والتوتر والحركة :

ترودُ الأراوي الصُّحمُ حولي كأنَّها عَذارَى عليهنَّ المُلاءُ المذيَّلُ (١)

---

(١) الأراوى : جمع أروية وهى الأنثى من الوعول . الصحم : الوعول السود التي يضرب لونها إلى الصفرة .

وَيَرْكُدْنَ بالآصالِ حولي كأنَّني مِنَ العُصْمِ أدْفي يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ(١)

فالعذارى اللائى يلبسن ثياب الأفراح تذهب حوله وتجيء،وكأنما هو فى عرس ،عرس انتصار الانسان على تحديات الأقدار والأهوال .

وهذان البيتان يمثلان حركة ضدية تقابل حركة القصيدة الأولى فتختفي منها معاني المأساة ويبرز معنى العذارى المنور المبتسم كما تنقطع الحركة التي مجدها في بداية القصيدة ويبرز الثبات الذى يجسده قوله " ويركدن " الذى يشير إلى الحركة فى ثبات ..

الفصل الخامس

لامية العرب ولاميات الأمم الأخرى

وتاريخ لامية العرب يمتد إلى اللاميات التى نسبت للأمم الأخرى وهى :

" لامية العجم " لمؤيد الدين أبي اسماعيل الحسين بن على الأصبهانى المعروف بالطغرائى (١) ، ومطلعها :

أَصالةُ الرأيِ صانَتْنِي عن الخَطَلِ وحِليةُ الفضلِ زانَتْنِي لدَى العَطَلِ (٢)

وقد أخذت هذه اللامية ما تستحقه من الاهتمام فوصلت شروحها إلى ما يقرب من خمسة عشر ، وأعظمها على الإطلاق " الغيث المسجم فى شرح لامية العجم" للصفدى ،فمعظم ما جاء بعده تلخيص له واختصار.

---

(١) قال الصفدى : " وذكره السمعانى فى كتاب الأنساب وأثنى عليه وأورد له قطعة من شعره في وصف الشمعة ،وذكر أنه قتل فى سنة خمس عشرة وخمسمائة .
وللطغرائى ديوان شعر جيد ،ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم ، وكان عملها ببغداد سنة خمس وخمسمائة .
الغيث المسجم فى شرح لامية العجم : ص ١٦ ومابعدها .

(٢) ديوان الطغرائى - تحقيق د .علي جواد الطاهر ،والدكتور يحي الجبورى ص ٣٠١ .

ولامية الهند للقاضي عبد المقتدر الكندي (١) ، ومطلعها :

ياسائقَ الظَّعنِ في الأسحارِ والأُصُلِ سلِّم على دارِ سلمى وَابكِ ثم سَلِ

عن الظِّباءِ التي من دأبِها أبداً صيدُ الأسودِ بحسنِ الدَّلِّ والنَّجَلِ

وعن ملوكٍ كرامٍ قد مَضَوا قِدداً حتى يُجيبَكَ عنهم شاهدُ الطَّلَلِ

وقد نشرت في كتاب " نزهة الخواطر " لعبد الحي الحسني ثم نشرت في مجلة ثقافة الهند ،ولها في مكتبة الحرم نص مخطوط (٢) ، إلا أن النص المنشور في مجلة ثقافة الهند قد حواه وعدّل ما اشتمل عليه نص نزهة الخواطر من انحراف .

ولامية الأتراك لعبد اللطيف الناصري (٣) ، ومطلعها :

---

(١) قال البلجرامي في تسلية الفؤاد : " هو عالم مقتدر على العلوم الصورية واللغوية ، وكوكب درى أنار الآفاق باللوامع القدسية . كان يحضر أيام تحصيله في حضرة الشيخ نصير الدين محمود الأودي الدهلوي . وتوفي القاضي في ٢٦ من المحرم سنة ٧٩١ ".
مجلة ثقافة الهند : المجلد الأول : العدد الثالث - سبتمبر سنة ١٩٥٠م .

(٢) تحت رقم (٧١ ٣٢) دهلوي (٩١) أدب .

(٣) قال السخاوي : عبد اللطيف الناصري الساقي ، مات سنة سبع ، أي سنة ٨٠٧ هـ . أنظر - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج ٤ : ٣٤١ ،

بدأتُ بذكرِ الله نَظْمِي مُبَسمِلا   على كلِّ حالٍ شاكـراً ومحمـدلا

ومنها نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٩١ م) .

ولامية " الروم " لمحمد بن الحنفى الحلبى (١) ، ومطلعها :

اسمعْ أخي في الله عشتَ طويلا   ما صغتُه لكَ إنْ رُزقتَ حويـلا

وقد شرحها حسين رستم الشهير بباشا زاده ، وشـرحه لا يزال مخطوطا بدار الكتب المصرية أيضا تحت رقم (٨٨ م) .

وقد نسبت هذه اللاميات للأمم فى مقابل نسبة لامية العرب للعرب ، قـال الصفدى : " وأما هذه القصيدة اللامية فإنما سميت لامية العجم تشبيهاً لها بلامية العرب لأنها تضاهيها فى حكمها وأمثالها ، ولامية العرب هي التى قالها الشنفرى ومطلعها :

أَقيمُوا بني أُمـى صدورَ مطيِّكـم   فإنِّي إلى قومٍ سِواكُـمْ لأَميـلُ

.... وحسبك أن الناس قالوا فى هذه القصيدة:إنها لامية العجم فى نظير تلك،بمعنى إن كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالأدب والأمثـال والحكم فإن للعجم لامية مثلها تناظرها" (٢) وكلام الصفدى يصدق على بقيـة اللاميـات ..

---

(١) ولد بحلب وتعلم بها وبمصر، وسافر إلى بلاد الترك فولي القضاء بأدرنة واستامبول وغيرها . انظر الأعلام ج ٧ ص ٦٥ .

(٢) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم : ج ١ ص ٢٧ .

والتناظر بين هذه اللاميات ولا ميـة العرب ليس تناظر أد ب وأمثـــال وحكم فقط بل هو أكبر من ذلك وأعــم ، فلكل أمة تصورها المتميز للأشيـــاء والكائنات ، وإذا كانت لا ميـة العر ب حاملـة لتصوراتهم فإن تلك اللاميــات حاملة لتصورات قائليها الذين ينتمون إلى تلك الأمــم على ما يتبــين من مقارنة المعاني المشتركة بينها وبين لامية العرب .

الإقامـة والترحـــل :

والإقامـة والترحل من المحاور الرئيســة التى ارتكزت عليها لا مية العرب، فهى قضيــة الصعلوك العربى الذى يتصور أنه يملك كل الأرض، ومع هذا ليــس له منها وطن يقــول :(١)

أَقيمُوا بني أُمّي صدورَ مَطِيِّكُــمْ ... فإني إلى قَومٍ سِواكــم لأَميَــلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الحاجاتُ والليل مقمر ... وشُدَّت لطَيَّاتٍ مَطَايــا وأَرحُــلُ
وفي الأرض منأًى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القِلَى مُتَعَــزَّلُ
لعمرك ما بالأرض ضيقٌ على امرئٍ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقِــلُ
ولى د ونكم أهلـونَ سيدٌ عَمَلَّــسٌ ... وأَرقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَــاءُ جَيْــأَ لُ
همُ الأهلُ لا مُستودَعُ السِّرِّ ذائعٌ ... لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخْذَلُ

فهو يرى فى الإقامة موتا وفى الرحيل حياة ،حياة المروءة والنجدة وحفظ السر وعدم الخذلان وغيرها من الفضائل ..

---

(١) راجع نص اللامية فى آخر الرسالة ، وكذا فى كل ما يرد منها ..

وشاعر لامية العرب لا نجده إلا مرتحلا والإقامة لا تكون إلا فى حالة واحدة :

ولكنَّ نفساً مرّةً لا تقيمُ بي على الذّام إلا ريْثما أتحوّلُ

وقد رأى فى حالة التحول إقامة مع ما يدل عليه التحول عن الشئ من منافاة للإقامة عليه ،فكأنه اقتنص فى هذه اللحظة التى تنتمى إلى عالم الحركة ثباتا وإقامة ،ثبات النفس وإقامتها على دفع الضيم .

وفى لامية العجم يوبخ الشاعر نفسه على الإقامة بعيدا عن أهله ما دام لا يجنى منفعة من وراء بعده :

فيم الإقامةُ بالزّوراءِ لا سَكَني بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي

نائٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكفِّ منفردٌ كالسيفِ عرّى متناهُ عن الخَلَلِ

والزوراء بغداد ،وقد آثر الشاعر لفظة "الزوراء" مع أنه لو قال " بغداد " لاستقام الوزن لأن "الزوراء" تحمل فى طياتها معنى البعد الذى تشكّى منه الشاعر ، جاء فى اللسان : " وأرض زوراء بعيدة ،قال الأعشى :

يَسقي دِياراً لها قد أَصبحتْ غرَضاً زَوْرَاءَ أَجْنَفَ عنها القَوْدُ والرَّسَلُ (٢)

ومع هذا فهو لا يجهل قيمة الترحل لأنه السبيل إلى المعالى :

إنّ العلا حدَّثتني وَهْيَ صادقةٌ فيما تُحدِّثُ أنَّ العزَّ في النُّقَلِ

---

(٢) لسان العرب : مادة " زور " .

لَو أَنَّ في شرفِ المأوى بلوغَ مُنىً   لم تبرحِ الشمس يوماً دارةَ الحَمَلِ

لكن أنّى بإنسان يتحمل أهوال الترحال ؟!!

أما لامية الأتراك فالأماكن فيها تحمل عبق التاريخ والقداسة لأنها دار الإسلام التي لا غربة فيها لمن يشاء الإقامة :

وَفي المُدنِ شَرَّفْ مكةً ثمَّ تِلْوَها   وللقُدسِ والشّامِ المباركِ فَضّلا

بها قاسيون ثمّ كهفٌ وربوةٌ   كذاك مَقامٌ للخليلِ تَبَجَّلا

عَلَيهِ بِها من رام مُكْثاً بنزهةٍ   وعيشٍ رحيبٍ بالسّرورِ تَكَمَّلا

وإلا بمصرٍ عُظِّمَتْ بِأليَسَ لِيٌّ   وسُلطانُها فَخْرُ العُلا بِعَلَى عَلا

بها العلمُ ميسورٌ وقلّة حاسدٍ   وأَمنٌ وإشفاقٌ لمن أقبلا

بشيئينِ في البلدانِ شُرِّفَ قدْرُها   بِنيلٍ ومِقياسٍ على وَسطهِ علا(١)

ولكن شرط الإقامة العفاف فهو يصحح إقامة المقيم وبه تجمل لا بالغبراء :

وفي أَيْنَمَا شاء الإقامةَ فَلْيقِمْ   عفيفاً فبالغَبْراءِ لَن يَتَجمّلا

والسفر والإقامة في لامية الروم لم يعودا نقيضين بل يلتقيان في أفق الصلاح الذي تتحول الإقامة معه إلى ثبات ، والصلاح لا يكون إلا بصلاح الظاهر والباطن :

---

(١) راجع آخر الرسالة ، وكذا فى كل ما يرد من لامية الأتراك .

سَافِرْ وأنت على الإقامةِ ثابتٌ ... أَصلِحْ خِلالَكَ ظَاهِراً ودَخِيلا (١)

الغنى والفقر :

الغنى والفقر في لامية العرب فصل من ملحمة لا يجر الفقر فيها إلى الجزع ولا الغنى إلى البطر :

وأُعدمُ أحياناً وأَغنى وإنّما ... ينالُ الغنى ذو البُعْدةِ المُتَبَذِّلُ
فَلا جَزِعٌ من خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ ... ولا مرح تَحْتَ الغنى أَتَخَيَّلُ

أما في لامية العجم فالغنى رسالة لقضاء الحقوق والفقر سبيله سبيل الرضا والقناعة :

أُريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها ... على قضاءِ حُقُوقٍ للعلا قِبَلِي
والدَّهرُ يعكِسُ آمالي ويُقنعُني ... من الغنيمةِ بعد الكدِّ بالقَفَلِ

ويلتف في لامية الأتراك في ثوب الضراعة إلى من يجيب المضطر إذا دعاه :

وإن كان فقري قد تَطَاولَ شأنُهُ ... وصرتُ طريداً في الخلائِقِ أَسْفَلَا
فَمَنْ ذا الذي أَرجُو سِوَاك لِفَاقَتِي ... ومن ذا الذي أَدعُوه في الضِّرِّ سائِلا

والغنى في لامية الروم ثقة بقدرة الرزاق دون الخوف من الإملاق ، والمال الكثير لا يعول عليه لأنه إلى زوال :

---

(١) راجع آخر الرسالة ، وكذا في كل ما يرد من لامية الروم .

لا تخشَ من ذي العرشِ إقلالا وأَنْــفِقْ ما اقتدرتَ كما رُزقت جليْــلاَ

ساهلْ على طلبِ الكفافِ معيشةً واستعطِ ربَّ العالمينَ كَفيــلاَ

ثِقْ بالذي في قُدرةِ الــرَّزَّاقِ (م) ممَّا في يديكَ تحزْ غِنًى وكمُولاَ

فَبهِ ترى الأيّامَ راغمةً لديْــكَ تدوسُها وتردُّهــا تذْليْــلاَ

لا تَغْتَ بالمالِ الكثيرِ فربّمــا يأتي غدٌ وترى الكثير قليلا

ولذلك لا ييئس أولو الحجى إذا حرموا الغنى لأنهم يرون فيما أعطوه مــا يعوضهم عن الحرمان ويقابلون ذلك بالشكر على النعمة :

لا شكَّ من رُزِقَ الحِجَى حُرِمَ الغِنَى فاشكرْ بما أُوليتَــهُ تَفضيــلا

ولاميــة الهند وفيّــة للروح الهندية التي تمجد الفقــر وتسمو به :

طُوبى لذي عســرٍ بالفقر مفتخــرٍ بالجوع مبتهــجٍ بالله مشتغــلِ

. . . .

لله درُّ فقـيرٍ مالكٍ أدبــاً وحُسْنَ خلقٍ بفضل الله مكتفلِ (١)

الجــوع :

والجوع في لاميــة العرب شبح مخيف لكن الشاعر تحداه فأماته وأحياه وعوّل على قدرته وبأسه في سحقه والانتصار عليه :

---

(١) راجع آخر الرسالة ، وكذا في كل مايرد من لامية الهند .

أُدِيمُ مطَالَ الجوعِ حتّى أُمِيتَهُ   وأَضربُ عنه الذِّكرَ صفحاً فَأُذهَلُ

وأَستَفُّ تُربَ الأرضِ كيلا يرى لَهُ   عليَّ مِنَ الطَولِ امرؤٌ متطَوِّلُ

ولولا اجتنابُ الذامِ لم يُلفَ مَشرَبٌ   يُعَاشُ به إلا لَدَيّ ومأْكَلُ

....

وأَطوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَمَا انطَوَت   خُيُوطَةُ ماريٍّ تُغَارُ وتُفتَلُ

وأَغدُو على القُوتِ الزَّهيدِ كمَا غَدَا   أَزَلُّ تهاداه التَّنَائِفُ أطمل

أما صاحب لامية الأتراك فيستمد الري والشبع من ذاته وفضائله ، ولا يعبأ أن يكون المانح وضيعاً يدعى النبل لأن سبيله سبيل الضطر الذي لا يجد غضاضة في قبول مالا يسوغ محافظة على حياته :

وإني لَرَيَّانٌ وإِنْ كُنتُ ظَامِياً   إذا عادَ يسقيني وضيعٌ تَنَبَّلاَ

كَذَا زفرٌينكَ من وِرْدِ منهلٍ   إذا عادَ من وَلْغِ الكلابِ مُوَحَّلاَ

وصيدي أسودُ البرِّ واللَّحْمَ هَيِّناً   ولا بذل وجهي سافلاً مُتَنبِّلاً

وأهجُرُهُ هَجْرَ الأَيَايِلِ عندَ ما   تَحُومُ لوِرْدٍ طَابَ شُرباً ومَنهَلاَ

اذا لم أُلاقي ذُلَّ مَسغَبَةٍ فإِنّ   أُلاقي فلا عَتْبٌ عليَّ أن اسْألاَ

ولي أُسوَةٌ بالقسوراتِ إذا نَمى   بها الجوعُ ترضى بالذي جِيَفَ في الفَلاَ

والجوع فى لامية الروم ممارسة من الممارسات التي تقوى بها الذات ويكبر صاحبها في عيون الآخرين :

وأَقِمْ على سَهرٍ وجوعٍ واعْـتَزِلْ فيهم يروكُ مُبَجَّلاً ونَبيـْـلا

والسغبة والجوع في لامية الهنود مظهر من مظاهر التخلي عن الشهوات والمطالب العاجلة الذي يفضي بصاحبه إلى الحياة الحقيقية العالية والتي تفضي بصاحبها إلى الإقبال إلى اللـه :

طَابَتْ حياةً لصُعْلوكٍ له سَغَبٌ وقلبُه باتَ ذا صبرٍ وذا جَذَلِ

....

طُوبى لذي عسْرٍ بالفقرِ مفتخرٍ بالجوعِ مُبتهجٍ باللّـهِ مشتغلِ

الصحبة والصداقة :

أقام الشنفرى في الجوامد الحياة حتى يمكنها من القيام بواجب الصداقة ؛ إن أحسن تجازيه وإن تعلل تلهيه ، وكأنه أحس أن الانسان ليس أهلاً للصحبة فانصرف عنه إلى سواه :

وإنّي كَفَاني فَقْدَ مَنْ ليسَ جازياً بحُسنَى ولا في قُربِهِ مُتَعَلَّلُ

ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مُشَيَّعٌ وأبيضُ إصْلِيتٌ وصَفراءُ عَيْطَلُ

أما الطغرائي فهو لا يثق بالإنسان وأوصى بالحذر والحيطة عند صحبته :

أَعدى عدوِّكَ أدنى من وَثِقتَ بِهِ فحاذرِ النّاس واصحبْهمْ على دَخَلِ

وإنّما رجلُ الدّنيا وواحِدُها من لا يُعوّلُ في الدّنيا على رَجُلِ
وحسنُ ظنّك بالأيامِ معجزةٌ فظُنَّ شَرّاً وكُنْ مِنها علَى وَجَلِ

وإذا لم يكن من صحبتهم بدّ فلا بدّ أن يكون الصاحب :

حلوُ الفُكَاهةِ مر الجِدّ قد مُزِجت بقسوةِ البأسِ فيه رِقّةُ الغزَلِ

وأن يكون معتدل القامة شجاعا :

وذِي شِطاطٍ كصدرِ الرُّمحِ معتقلٍ بمثله غيرَ هيّابٍ ولا وَكِلِ

أما لامية الروم فقد تشكت من قلة الإخوان :

سافرتُ في سهلِ البقاعِ وحزنِها فرأيتُ إخوانَ الصفاءِ قليلاَ
وخدمتُ مَنْ أسيافِها فولاذَها ولقيتُه وقتَ اللِّقاءِ ذَليلاَ

لكنها أمرت بالوصال وكأنها تذكر بحقيقة الإنسان الخطّاء :

واصِلْ صديقَكَ إن جَفَاكَ بِهَفْوةٍ وصِنِ الودادَ وأَمِّلِ التّحويلاَ

ومع هذا فقد حذر من صحبة الأشرار الفاسدين لأن صحبتهم وبال على الدنيا والدين :

لا تصحبِ الفَسَدَى فتصبحَ قائلاً ياليتني لم أتخذه خليلا
لا شك دينُ المرءِ دينُ خليلِه فدعِ الفَسِيدَ وصاحبِ المَشْمُولا
اظهرْ سكوتاً ما استطعت مجالساً للغافلين وأضمرِ التّهليلا

والصاحب في لامية الأتراك عزيز المنال والحصول عليه محال وذلك لفناء الأخيار وبقاء الأشرار:

وعزّ بأنْ ألقى خليلاً موافقا ... كما عزّ في الغربانِ أعصمُ أهملا
لقد ذهب الأخيارُ ممن تسلّكوا ... وأبقوا مِنَ النّسْناسِ خلفاً مُهلهلا
قلوبهم قشرٌ ووصلهمُ قِلاً ... ووعدهم مطلٌ ونيلهمُ خلا

والصحبة لا تكون إلا للشبيه واللبيب لا للبائر الذي يحاول أن يخفي حقيقة نفسه فسرعان ما ينكشف :

شبيهك فاصحبْ إنْ ترم لك راحةً ... وعن أرذلِ الأشباهِ كن متحوّلا
ولا تصحبن بُوراً ولو جاءَ بالقرى ... فإنتاجه سمٌّ كالأرقطِ مُثّلا
وصاحبْ من الناسِ اللّبيبَ فإنّه ... وإن هِينَ يوماً لم يزل متحمّلا

بم يفخرون ؟

لامية العرب يفخر صاحبها بذاته ،بقوته وصلابته وبأسه. يتحمل المشاق ويحطم الأشياء ،ولا يستمد مقومات حياته من الأجداد ولا من غيرهم فكأنه عصامي .

والرأي في لامية العجم يعصم صاحبها من الخطل والضلال ، وزمانه واحد يفضي بعضه إلى بعض ويتّصل أوله بآخره :

أَصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ وحِليةُ الفضلِ زانتني لدى العَطَلِ
مَجدِي أخيرًا ومجدي أَوَّلاً شَرَعٌ والشمسُ رأْدَ الضحى كالشمسِ في الطَّفَلِ

وقريب من هذا اطراح التنافر بالجدود في لامية الروم ثم الاعتداد بالحكمة وسداد الرأى :

وذرِ التفاخرَ بالجدودِ يا أخي إن زانك العقلُ البهيُّ فضولاَ

ولامية الأتراك تنأى بصاحبها أيضا عن التفاخر بالأنساب الذي يقابله فراغ من الفضائل ، والمعرفة التي تمتلئ منها النفس هي علم بالشريعة التي تحوي علم الحقيقة :

تجنَّبْ لثورٍ قد تعصبَّ عنزةً تحلّى بشيخٍ ضلَّ رشداً وضلَّلا
يعدُّ أنساباً له وهْوَ فارغٌ يريدُ سموًّا يستحقُّ التسفُّلاَ
ويخطرُ في خطوٍ مهزًّا لعِطفِهِ ومن فوقِهِ ثوبٌ ومنديلٌ أسقِلاَ
وينقلُ أخباراً بجهلٍ مركّبٍ إليها بسيطُ الجهلِ بالقلبِ مُقْبلاَ
فكنْ حاوياً علم الشريعة أولاً به تلتقي علمَ الحقيقةِ أكملاَ

والفخر في لامية الهند آية الهداية والصلاح التي شملت هؤلاء الأقوام، فلا فخر إلا بوصول الإسلام عليه الصلاة والسلام :

لله دَرُّ فقيرٍ مالكٍ أَدبًا وحسنَ خلقٍ بفضلِ الله مكتفلِ
. . . .

ولم يكنْ فخرُهُ إلا بعــزةِ مــنْ أغنَى الأَعاجــمَ والأعرابَ بالدُّولِ

محمدٍ خيرِ خلقِ اللّــه قاطبــةً هو الذي جَلَّ عن مِثْلٍ وعن مَثَــلِ

فكأنهم قطعوا الصلة بالماضي وابتدأوا زمانا جديدا كان الإسلام فيه نقطـة البدايــة .

ويتضح مما سبق أن لامية العرب ملحمة، الإنسان فيها قطب الحياة فهو لا يستسلم للتحديات، فلا يجزع من الفقر ولا يلين للجوع ولا يستكــين للإقامة مع الأهل بل عوّلت على ذاته ورأت أن قيمته تنبع منها لا فيما وراءهـا من أمجاد الآباء والأجــداد .

واللاميات الأخرى كان لها من هذه التحديات موقفان أولهمـــا : التشكي من مواجهة هذه التحديات إلا أنه تشكٍّ يمكن مغالبته بالرأي والفضائل والمعرفة والدعاء، والآخــر تمثّل في محاولة تفريغ هذه التحديات من معانيها فالفقر والجوع لم يعودا شبحين يؤرقان الإنسان بل خلاصا له من مطالب النفس العاجلة وسبيلا الى الدخول في عالم الفضائل والحقائق ..

نصوص وتحقيقات

النصـــوص

واللاميات التى أقمت المقارنة بينها وبين لامية العرب لا يتوفر أكثرها للقارئ فمنها ما هو مخطوط ومنها ما نشر فى مجلة ثقافة الهند مما دعانى إلى إثباتها مجتمعة في هذا البحث .

وقد أثبت لامية العرب برواية ابن طيفور(1) ، وهى رواية أولى لم يذكرها أحد ممن درس اللامية ، وقابلتها أيضا بروايتى القالى والزمخشرى الذائعتين .

أما لامية العجم فقد أثبتها كما فى ديوان قائلها الطغرائى ، وكذلك لامية الهند أثبتها كما فى مجلة ثقافة الهند .

أما لامية الأتراك - وهي تنشر لأول مرة - فقد أثبتها عن نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٩١ م) وعلى لوحة

----

(1) أوردها ابن طيفور فى كتابه الذى توجد له مصورتان بمركز البحث العلمى بالجامعة احداهما تحت مسمى " المنثور والمنظوم " ، والأخرى تحت مسمى " اختيار المنظوم والمنثور " وقد عولت عليهما .

الغلاف كتاب لامية الأتراك تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى عبداللطيف الناصرى عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه ، فى طرة بديعة، وعليه تملك لولى النعم الحاج ابراهيم عدد ٩٤ .

والأبيات مكتوبة بخط ثلث متقن كبير ، مضبوط بالشكل ، وفى الصفحة أربعة أبيات فقط ، وفى أثنائها تعليقات كثيرة بخط نسخى دقيق غير معجم .

ومقاسها ٢٦ × ١٧ وعدد لوحاتها ١٦.

وآخره :

ومن بعده أزكى وأسنا تحية تضوع على التكرار مسكا و مندلا
على آله مع صحبه ثم من تلا هم عدد الأوراق والقطر والكلا

ولامية الروم وهي تنشر لأول مرة أيضا ، وقد أثبتها عن نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية ضمن مجموع برقم (٨٨م) ، وتبدأ اللامية من اللوحة (٩٠ - ١٠٩).

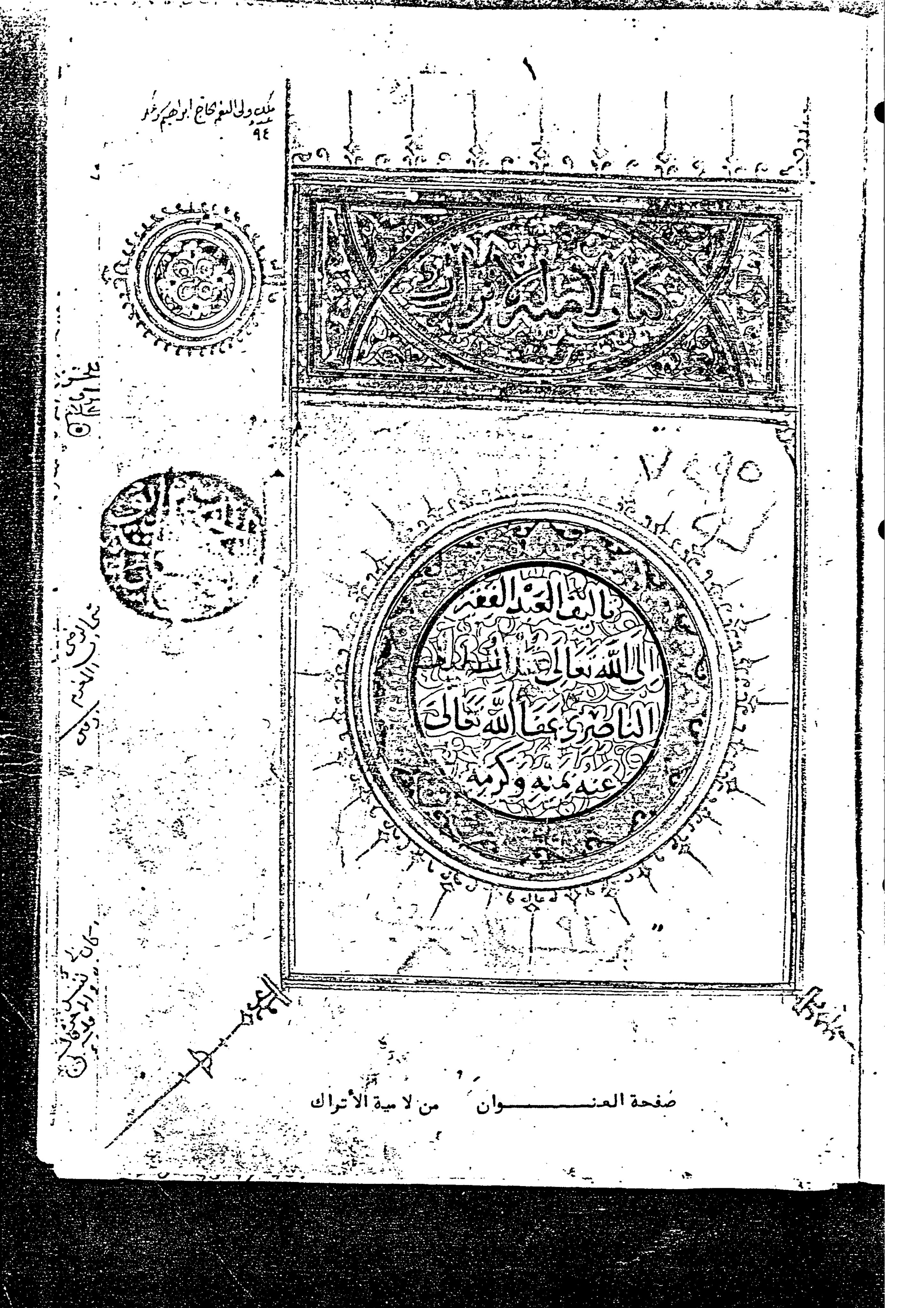
وعلى لوحة الغلاف ما نصه " هذا شرح اللامية المسماه بلامية الروم لسيدنا ومولانا افتخار العلماء الأفاضل ، اعتماد الفضلاء الأماثل ، عين العلماء الأعيان ، ذخر البلغاء ذوى الشأن ، المولى الأكرم والهمام الأعظم الأفخم حسين افندى ابن رستم الشهير بباشا زاده عليه الرحمة والرضوان من الحنان المنان ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، ثم أبيات فى تقريظ الكتاب.

وبأعلى اللوحة الأولى ما نصه " قال سيدنا ومولانا افتخار العلماء اعتماد الفضلاء شيخ مشايخ الإسلام ، أعلم العلماء الموالى الأعزة الكرام ، رافع براقع المشكلات وموضح مهمات المعضلات مولانا حسين أفندى ابن رستم الشهير بباشا زاده رحمه الله تعالى ويلغه مراده .

وخطها نسخي متقن غير مضبوط بالشكل سوى الآيات القرآنية ، وصفحاتها مجدولة ، وعلى الكلمات المشروحة خط بالحمره ، ومقاسها ٢٢ × ١٤ وعدد لوحاتها ٢٠ ، وفى الصفحة ٢٥ سطراء وفى السطر ١٢ كلمة تقريبا .

وكتب الناسخ فى آخرها ما نصه ، تم بفضل الله القدير خير وافر غزير على يد قائله الشارح المجتهد لدين الله المناصح أضعف عباد الله القوى الأكرم ،الحقير الشطير حسين بن رستم عفي عنه وعن والديه وعن كافة المؤمنين آمين .

قد وقع الإتمام فى كتابة الرسالات اللامية العجم ولامية العرب ولامية الروم فى اليوم العاشر من شهر ربيع الأوله لسنة اثني عشر ومائة وألف من هجرة من له العز والشرف .



صفحة العنـــــوان من لامية الأتراك

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بدأت بذكر الله نظمي مبسملا على كل حال

ثناء شاكراً ومحمدلا

وأهديت إلى الهادي الأمين محمد صلوة وتسليما

بضوع أزمندلا

وبعد فلما أن دهري لحالني وأوصلني ما كنت منه موئلا

وأشكره شكراً جزيلاً لأموم لأمر أحمد ما خاب

فيه من أمتد لا

وأهدي صلوة مع سلام لأحمد بشير نذير

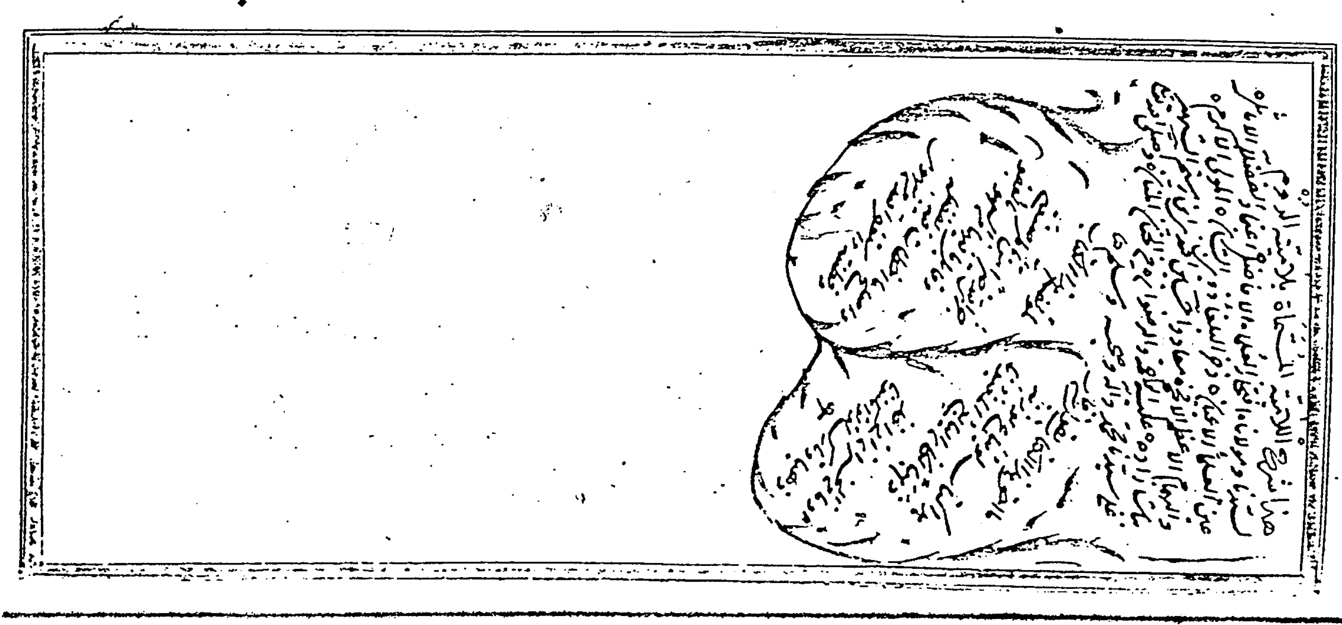
للبرية أرسلا

ومن بعده أزكى وأسنا تحية تضوع على التكرار

مشكا ومندلا

على آل مع صحبة ثم من تلا هم عدد الأوراق والقطر

أنزلا



صفحة العنوان من شرح لامية الـروم

الصفحة الأولى

مولانا حسين افندي ابن رستم الشهير بيكباش زاده رحمة الله تعالى ولمنه مراده

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن بالكريم

اِسْمَعْ اَخِي فِي اللهِ عِشْتَ طَوِيلًا ٥ مَا صُغْتُهُ لَكَ اِنْ رُزِقْتَ حَوِيلًا

اسمع امر من سمعه وسماعا قال مولانا العلامة سعدي جلبي بن عيسى بن امير خان رحمة الله الملك المنان في بعض تعليقاته على شرح السيد الشريف للقسم الثالث من مفتاح السكاكي قال ابو علي الفارسي في التكملة ان سمعت يتعدى الى مفعولين ولا بد من ان يكون الثاني مما يسمع كقولك سمعت زيدا يقول ولو قلت سمعت زيدا يضرب اخاك لم يجز فان اقتصرت على مفعول واحد وجب ان يكون مما يسمع انتهى اقول يعني فلا حاجة الى ما قاله السيد رحمه الله تعالى فيقول في قولهم سمعت زيدا يقول اما حال اي سمعته قائلا والمعنى سمعت قوله قائلا واما بدل بتاويل المصدر اي سمعته قوله انتهى عشت طويلا اخبار بمعنى الدعاء صغت نفس متكلم من صاغ الحلي صياغة وما موصولة مفعول اسمع رزقت على لفظ ما لم يسم فاعله والحويل بالحاء المهملة جودة النظر والحذق مفعول رزقت والمراد من السماع سماع وعي مستتبع للاذعان والقبول لا سماع فرغ مستخلف للنسيان والذهول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المومن اخو المومن لا يدع نصيحته على كل حال

خَفْ خَالِقَ الاَشْيَاءِ تَأْمَنْ عِزَّهُ ٥ خَالِفْ هَوَاكَ تَنَلْ بِهِ الْمَأْمُولَا

خف امر من خاف خوفا خالق مفعوله تأمن بالجزم جواب الامر عزه مفعوله قال احمد بن عبد الله بن عمر ابن كامل الانصاري في كتابه المسمى بالجواهر الخالصة في الافعال القاصرة والواصلة امن الرجل من خوفه وامنته انا لازم ومتعد وهذا الحرف مما انفرد به ابو علي الفارسي رحمه الله تعالى في كتابه الحجة ولذلك اسند اليه انتهى تنل مضارع نال الشيء ينال به نيلا اذا ناله وهو بالجزم جواب خالف وضمير به للخلاف المستفاد من خالف كقوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى وقوله المامولا مفعول تنل

10

قيل لعبد الله بن محمد المعروف بالمرتعش ان فلانا يمشي على الماء فقال عندي ان من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو اعظم من المشي على الهواء

وَاسْتَصْحِبِ الاَخْيَارَ تَكْسِبْ عِزَّهُمْ ٥ مَنْ عَاشَرَ الاَشْرَارَ عَاشَ ذَلِيلَا

استصحب امر من استصحبه اي لازمه والاخيار مفعوله وهو جمع خير ككيس لكثير الخير تكسب بالجزم جواب الامر عزهم مفعوله والرذيل الدون الخسيس وهو هنا حال من المستتر في عاش قال الشاعر شعر

من جاور الاشراف عاش مشرفا ٥ ومجاور الاوباش غير مشرف

او ما ترى الجلد الحقير مقبلا ٥ ومبجلا اذ صار جلد المصحف

وقال اخر شعر

احذر مخالطة السفيه فانه ٥ بفساد اصلاح عقلك يغلب

لا يبرئ الجرباء قرب صحيحة ٥ منها ولكن الصحيحة تجرب

وقال اخر شعر

صحبا اخا كرم تحظى بصحبته ٥ فالطبع مكتسب من كل مصحوب

والريح اخذه مما تمر به ٥ نتنا من النتن او طيبا من الطيب

لَا تَصْحَبِ الْفُسَدَى فَتُصْبِحَ قَائِلًا ٥ يَا لَيْتَنِي لَمْ اَتَّخِذْهُ خَلِيلَا

الفسدى بفتح الفاء والدال جمع فاسد كالسقطى جمع ساقط وهو هنا مفعول لا تصحب فتصبح بالنصب كقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فيه اشارة الى قوله تعالى يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لا شك دين المرء دين خليله ٥ فدع الفسيد وصاحب المشمولا الفسيد فعيل من فسد بمعنى الفاسد وهو مفعول دع صاحب امر من صاحبه مصاحبة والمشمول المرضي الخصال وهو مفعول صاحب وقال ابو الفتح البستي

تحير من الاصحاب كل ابن حرة ٥ يسرك عند النائبات لقاؤه

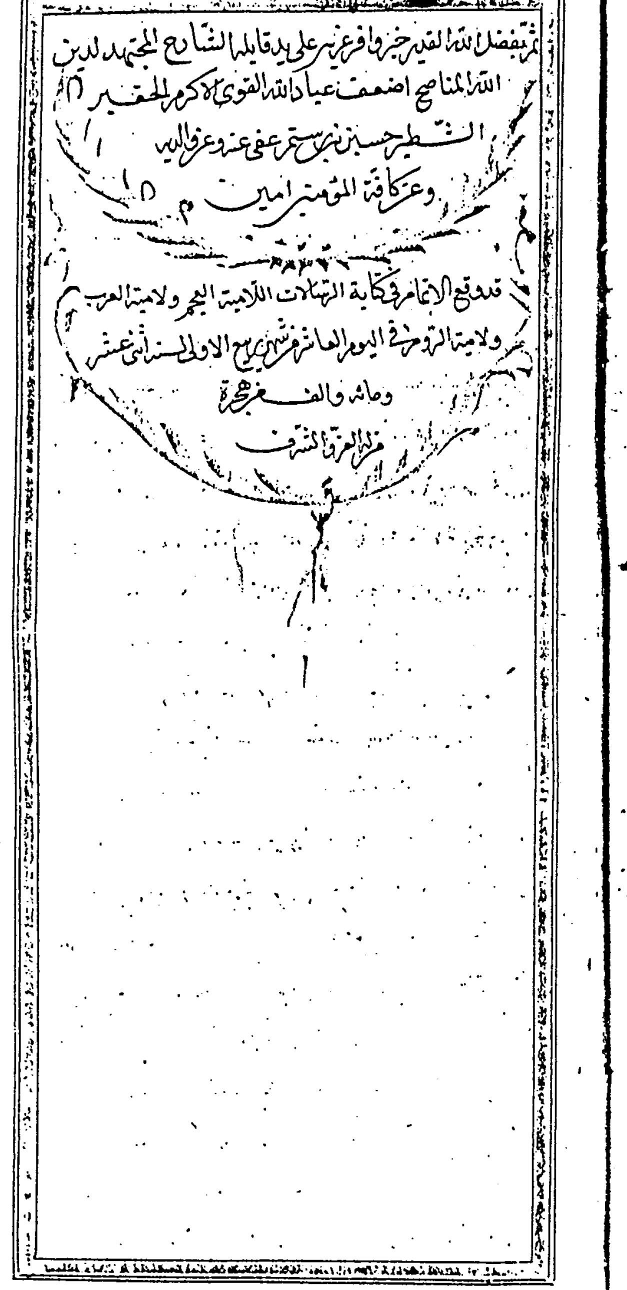
وقارن اذا قارنت حرا فانما ٥ يزين ويزري بالفتى قرناؤه

وقال عدي بن زيد

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ٥ ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

الصفحة الأخيرة

والسلام وطالت صحبته معه وان لم يروعنه وقيل وان لم تطل
وما قيل في تعريفه هو من اجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا
وجاءت على ذلك احضر واحسن قال الجوهري رحمه الله تعالى
للديمة المطر الدايم الذي ليس فيه رعد ولا برق واقله ثلث النهار
او ثلث الليل ولاكثره ما بلغ من العدة والجمع ديم انتهى والبعلول
بالمثناة تحت السحاب الابيض والمطر بعد المطر والجمع بهاليل
[illegible] واعراب ديمة يعلولا كسد اصباء [illegible]
ما رنحت ريح الصبا عذبات ٭ بان حمى العطا من الجليل جزيلا
ما رنحت ما مصدريه ظرفية ايضا رنحه ترنيحا اماله وعذبات البان
اغصان شجره وهو مفعول رنحت وحمى كالى قال في الصحاح هذا شيء
حمى على فعل اى محظور لا يقرب وحميت مكان حميته حمى وفي حديث
لا حمى الا لله ولرسوله انتهى ومن ابتدائيه والجليل وهو الله تعالى
والجزيل العظيم وهو حال من العطا . [illegible]
او اطرب الحادي بنغم عيسه ٭ وونت بها طرق الحجيج حولا
اطرب افعل من الطرب محركة وهو صفة تصيب بشدة فرح والحادي
سايق الابل وهو فاعل اطرب بنغم البا متعلقه باطرب والعيس
بكسر العين والسين المهملتين كرايم الابل ونى ينى ونيا اى ضعف
والبا في بها للتعدية والضمير للعيس اى اضعفتها والطرق بضمتين
جمع طريق وهي بالرفع فاعل ونت قال ابو جعفر احمد بن داود بن
يوسف شارح ادب الكاتب لابن قتيبه الحجيج جماعة الحاج وهو
اسم الجمع كالعبيد والكليب والحول بالحاء المهمله والجيم بوزن القبول
البعيد وهو حال من الطرق فيه نوع اشاره الى قوله تعالى وتحمل
اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وختام القصيد
كان يقول البوصيري رحمه الله تعالى [illegible]
ما رنحت عذبات البان ريح صبى ٭ واطرب العيس حادي العيس بالنغم


تم بفضل الله القدير جزؤها فرغ على يد قايلها الشارح المجتهد للدين
الله المناصح اضعف عباد الله القوي الاكرم الحقير
الشيخ حسن بن [illegible] عفى عنه وعن والديه
وعن كافة المؤمنين امين
فقد وقع الاتمام في كتابة [illegible] اللامية العجم ولامية العرب
ولامية [illegible] في اليوم العاشر من شهر ربيع الاول لسنة اثنى عشر
ومائة والف من هجرة
من له العز والشرف

لاميـــة العـــرب

١ - أقيموا بني أمي صدور مطيكم	فإني إلى قوم سواكم لأميل (١)
٢ - فقد حمت الحاجات والليل مقمر	وشدت لطيات (٢) مطايا وأرحل
٣ - وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى	وفيها لمن خاف القلى متعزل
٤ - لعمرك ما بالأرض (٣) ضيق على امرئ	سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
٥ - ولي دونكم أهلون : سيد عملس	وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
٦ - (هم) (٤) الأهل (٥) لا مستودع السر (٦) شائع	لديهم ، ولا الجاني لما (٧) جر يخذل
٧ - وكل أبي باسل ، غير أنني	إذا عرضت أولى الطرائد أبسل
٨ - وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن	بأعجلهم ، إذ أجشع القوم أعجل
٩ - وما ذاك إلا بسطة عن تفضل	عليهم ، وكان الأفضل المتفضل
١٠ - وإني كفاني فقد من ليس جازيا	بحسنى ، ولا في قربه متعلل

---

(١) عند القالي : " أهل "
(٢) ،، ،، : " لطياتي "
(٣) ،، ،، والزمخشري : " ما في الأرض " .
(٤) سقط ما بين القوسين من النسخة المسماه " المنثور والمنظوم " .
(٥) عند القالي : " السرهط "
(٦) عند الزمخشري : " ذائع "
(٧) عند هما : " بما "

١١- ثلاثةُ أصحابٍ : فؤادٌ مشيَّعٌ ... وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطلُ

١٢- هتوفٌ من المُلسِ المتون(١) يزينها ... رصايعُ قد نيطت إليها(٢) ومحملُ

١٣- إذا زلَّ عنها السهمُ حنَّت كأنها ... مرزَّأةٌ عجلى(٣) ترنُّ وتعولُ

١٤- ولستُ بمهيافٍ يعشّي سوامَه ... مجدَّعةً سُقبانُها وهيَ بُهَّلُ

١٥- ولا خَرقٍ هيقٍ كأنَّ فؤادَه ... يظلُّ به المُكّاءُ يعلو ويسفُلُ(٤)

١٦- ولا جُبَّإٍ أكهى مربٍّ بعرسِه ... يطالعُها فى شأنِه كيفَ يفعلُ

١٧- ولا خالفٍ داريَّةٍ متغزِّلٍ ... يروحُ ويغدو داهنا يتكحلُ

١٨- ولست بِعَلٍّ شرُّه دون خيرِه ... ألفَّ إذا ما رُعتَه اهتاجَ أعزلُ

١٩- ولستُ بمحيارِ الظلامِ اذا انتحت(٥) ... هدى الهوجلِ العسِّيفِ يهماءُ هوجلُ

٢٠- إذا الأمعزُ الصَّوانُ لاقى مناسمى ... تطايرَ منه قادحٌ ومفلَّلُ

---

(١) فى رواية القالى " الحسان "

(٢) " " " " عليها "

(٣) " " " " ثكلى "

(٤) سقط هذا البيت من رواية القالى . كذلك رواية الزمخشرى تقدم فيها البيت السادس عشر على البيت الخامس عشر.

(٥) فى رواية الزمخشرى " انتحت ".

٢١- أُديمُ مِطالَ الجوعِ حتى أُميتَه وأضرِبُ عنه الذِّكْرَ صفحاً فأَذهلُ

٢٢- وأستفُّ تُربَ الأرضِ كيلا يرى له عليّ من الطولِ امرؤٌ متطوِّلُ

٢٣- ولو اجتنابُ الذامِ لم يلفَ مشربٌ (١) يعاشُ به الا لديَّ ومأكلُ

٢٤- (ولكن نفساً حرّةً لا تقيمُ بي على الضيم إلا ريثما أتحوّل) (٢)

٢٥- وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت خُيوطةُ ماريٍّ تُغارُ وتُفتَلُ

٢٦- وأغدو إلى القوتِ الزهيدِ (٣) كما غدا أزلُّ تهاداه التنائِفُ أطحَلُ

٢٧- غدا طاوياً يعارِضُ الريح هافياً يخوتُ بأذنابِ الشِّعابِ ويعسِلُ

٢٨- فلما لواه القوتُ من حيثُ أمَّه دعا فأجابتْه نظايرُ نُحَّلُ

٢٩- مهلّلةٌ (٤) شِيبُ الوجوه كأنها قداحٌ بكفّي ياسرٍ تتقلقلُ

٣٠- أو الخشرمُ المبعوثُ حثحثَ دبرَه محابيضُ أرساهن (٥) سامٍ مُعَسِّلُ

---

(١) فى رواية القالى " لم يبق "

(٢) لم يرد هذا البيت فى رواية ابن طيفور ، وورد فى روايتى القالى والزمخشرى فاثبت رواية القالى هنا وهى تخالف رواية الزمخشرى فى لفظتين هما " حرة " و " الضيم " اللتان وردتا عند الزمخشرى " مرة " و " الذام ".

(٣) فى روايتى القالى والزمخشرى " على "

(٤) فى روايتى القالى والزمخشرى " مهلهلة "

(٥) فى رواية القالى " رداهن " ، وفى رواية الزمخشرى " أرداهن ".

٣١- مهرّتةٌ فوهٌ كأنّ شدوقهـا | شقوقُ العِصيِّ كالحاتٌ وبُسّلُ
٣٢- فضجّ وضجّت بالبَراح كأنهـا | وإياه نوحٌ فوقَ علياءَ ثُكّلُ
٣٣- فأغضى(١) وأغضت وابتسى(٢) وابتست به | مراميلُ(٣) عزّاها وعزته مرمِلُ(٤)
٣٤- شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت | ولَلصبر إن لم ينفعِ (الشكو)(٥) أجملُ
٣٥- وفاءَ وفاءت بادراتٍ وكلُّها | على نكظٍ مما يكاتِمُ مُجمِلُ
٣٦- وتشربُ أساري القطا الكدْرُ بعد ما | سرت قرباً أحناؤُها(٦) تتصلصَلُ
٣٧- هممت وهمت وابتدرْنا وأسدَلت | وشمّر مني فارطٌ متمهّلُ
٣٨- فوليتُ عنها وهي تكبو لعُقرِه | يباشرُه منها ذُقونٌ وحوصَلُ
٣٩- كأن وعاها(٧) حجرتيه وحولَه | أضاميمُ من سُفلى(٨) القبائلِ نزّلُ
٤٠- توافين من شتّى إليه فضمّها | كما ضمّ أذوادَ الأصاريمِ منهلُ

---

(١) فى رواية القالى "وأغضى"

(٢) " " والزمخشرى "واتسى واتست به"

(٣) فى رواية القالى "أرامل"

(٤) " " "أرمل"

(٥) جاء فى رواية ابن طيفور "الصبر" وبه لا يستقيم البيت فآثرت عليه ما جاء فى روايتى القالى والزمخشرى وهو لفظ "الشكو"

(٦) فى رواية القالى "احشاؤها"

(٧) فى رواية القالى والزمخشرى "وغاها"

(٨) فى رواية الزمخشرى "من سفر"

٤١- فعبّت غِشاشاً ثم مرّت كأنها ... مع الفجرِ (١) ركبٌ من أحاظةَ مجفِلُ

٤٢- وآلف وجه الأرض عند افتراشها ... بأهدأ تنبيه سناسنُ قحّلُ

٤٣- وأعدِلُ منحوضاً كأنّ فصوصه ... كعابٌ دحاها لاعبٌ فهي مثّلُ

٤٤- فإن تبتئس بالشنفرى أمّ قسطلٍ (٢) ... فما (٣) اغتبطت بالشنفرى قبلُ أطولُ

٤٥- طريدُ جناياتٍ تياسرن لحمه ... عقيرته لأيّها حُمَّ (٤) أولُ

٤٦- تنام اذا ما نام يقظى عيونها (٥) ... حثاثاً إلى مكروهه تتغلغلُ

٤٧- وإلفُ هموم ما يزال (٦) تعودُه ... عياد الحمّى (٧) الربع أو هو (٨) أثقلُ

٤٨- إذا وردت أصدرتها ثم إنها ... تثوبُ فتأتي من تحيتُ ومن عَلُ

٤٩- فإما تريني كابنةِ الرملِ ضاحياً ... على رقّةٍ (٩) أحفى ولا أتسربلُ (١٠)

٥٠- فإني لمولى الصبرِ اجتابُ بزّه ... على مثلِ قلبِ السِّمعِ والحزمَ أفعلُ (١١)

---

(١) فى روايتى القالى والزمخشرى " مع الصبح "

(٢) فى رواية القالى " قصطل " بالصاد .

(٣) فى روايتى القالى والزمخشرى " لما " .

(٤) فى روايتى القالى والزمخشرى " حم "

(٥) فى رواية القالى " تبيت "

(٦) فى روايتى القالى والزمخشرى " تزال "

(٧) فى روايتى القالى والزمخشرى " عيادا كحمى الربع "

(٨) فى روايتى القالى والزمخشرى " هى " .

(٩) فى رواية القالى " رقبه "

(١٠) فى رواية الزمخشرى " أتنعل "

(١١) فى رواية الزمخشرى " أقعل "

٥١- وأُعدِم أحياناً وأغنى وإنّما ينالُ الغِنى ذو البُعْدَةِ المتبذِّل

٥٢- فلا جَزِعٌ من خلّةٍ متكشّفٌ (١) ولا مرحٌ تحت الغنى أتخيّل

٥٣- ولا تزدهي الأجهال حِلمي ولا أُرى سؤولاً بأعقابِ الأقاويلِ (٢) أُنمِل

٥٤- وليلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها وأقطُعَه اللاتي (٣) بها يتنبّل

٥٥- دعست على غطْشٍ وبغشٍ (٤) وصحبتي سُعارٌ وإرزيزٌ ووجْرٌ وأفكَلُ

٥٦- فأيّمت نِسواناً وأيتمتُ وِلدةً (٥) وعدتُ كما أبدأت والليلُ أليَل

٥٧- وأصبحَ عنّي (٦) بالغميصاءِ جالساً فريقان : مسؤولٌ وآخرُ يسأل

٥٨- فقالوا لقد هرّت بليلٍ كلابُنا فقالوا (٧) أذئبٌ عسَّ أم عسّ فرعُل

٥٩- فلم يكُ (٨) الا نبأةٌ ثمّ هوّمت فقالوا قطاةٌ ريعَ أم ريعَ أجدَل

٦٠- فإن يكُ من جنٍّ لأبرحُ طارقاً وإن يكُ إنساً ماكها الإنسُ تفعل

---

(١) هـ في رواية القالي " لخلة "

(٢) في رواية القالي " الأحاديث "

(٣) في رواية القالي " اللائى "

(٤) في رواية القالي " بغش وغطش "

(٥) في روايتي القالي والزمخشري " الدة "

(٦) في رواية القالي " فأصبح "

(٧) في رواية القالي " فقلت " ، وفي رواية الزمخشري " فقلنا ".

(٧) في رواية الزمخشري " تك "

(٩) في رواية القالي " فقلنا "

٦١- ويوم من الشعرى يذوب لؤابه   أفاعيه في رمضائه(١) تتململ

٦٢- نصبت له وجهي ولا كن دونه   ولا ستر إلا الأتحمي المرعبل

٦٣- وضاف إذا هبت له الريح طيرت   لبايد عن أعطافه ما ترجل

٦٤- بعيد بمس الدهن والغلي عهده   له عبس عاف من الغسل محول(٢)

٦٥- وخرق كظهر الترس قفر قطعته   بعاملتين بطنه(٣) ليس يعمل

٦٦- فألحقت(٤) أولاه بأخراه موفيا   على قنة أقعي مرارا وأمثل

٦٧- ترود الأراوي الصحم حولي كأنها   عذارى عليهن الملاء المذيل

٦٨- ويركدن بالآصال حولي كأنني(٥)   من العصم أدفى ينتحي الكيح أعقل

---

(١) في رواية القالي " من رمضائه "

(٢) سقط هذا البيت من النسخة المسماه " اختيار المنظوم والمنثور. وورد في النسخة الأخرى .

(٣) في روايتي القالي والزمخشري " ظهره "

(٤) في رواية الزمخشري " وألحقت"

(٥) في رواية القالي " دوني "

لامية العجم

أصالةُ الرأي صانتني عن الخطل	وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدي أخيرا ومجدي أولاً شرع	والشمسُ رأد الضحى كالشمس فى الطّفل
فيم الإقامةُ بالزوراء لا سكني	بها ولا ناقتي فيها ولا جملى
ناءٍ عن الأهلِ صِفرُ الكفّ منفردٌ	كالسيف عُرّي متناهُ من الخَلل
فلا صديقَ إليه مشتكى حزني	ولا أنيسَ إليه منتهى جذلي
طال اغترابيَ حتى حنّ راحلتى	ورحلُها وقرى العسّالة الذُبل(١)
وضجّ من لَغَبٍ نضوى وعجّ لما	يلقى رِكابي ولجّ الركبُ فى عذلى
أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها	على قضاءِ حقوقٍ للعُلى قِبلى
والدهرُ يعكسُ آمالي ويقنعني	من الغنيمة بعد الكدّ بالقفل
وذى شِطاطٍ كصدر الرمح معتقلٍ	بمثله غيرَ هيّابٍ ولا وكِلِ(٢)
حلوُ الفكاهةِ مرُّ الجِدّ قد مزجت	بقسوة البأس فيه رقّةُ الغزل
طردتُ سرحَ الكرى عن وِردِ مقلته	والليل أغرى سوامَ النوم بالمُقَل
والركبُ مِيلٌ على الأكوار فى طرب	صاحٍ وآخرَ من خمر الكرى ثمِل(٣)
فقلت أدعوك للجلّى لتنصرنى	وأنت تخذلني فى الحادث الجلل
تنام عينى وعينُ النجم ساهرةٌ	وتستحيل وصِبغُ الليل لم يحُلِ
فهل تعين على غَيٍّ هممت به	والغي يزجر أحيانا عن الفشل

---

(١) قرى : أعلى . العسالة : الرماح . الذبل الدقيقة .
(٢) الشطاط : اعتدال القامة . هياب : جبان . وكل : عاجز.
(٣) الأكوار : جمع كور وهو القتب .

إنى أُريد طروقَ الحيِّ من «أضم» ... وقد رماهُ رماةُ الحي من «ثُعَل»

يحمون بالبيض والسمر اللدانِ بهم ... سودَ الغدائرِ حمرَ الحَلْيِ والحُلَلِ (١)

فسِرْبناَ فى ذِمام الليل مهتديـا ... بنفحـةِ الطيب تَهدينا إلى الحِلَـل

فالحب حيث العِدَى والأسد رابضةٌ ... نصالُها بمياه الغنج والكَحَـل (٢)

قد زاد طيبَ أحاديثِ الكرام بهـا ... ما بالكرائمِ من جُبنٍ ومن بُخُـلِ

تبيتُ نارُ الهوى منهنّ فى كَبِـدٍ ... حرَّى ونار القِرى منهم على القُلَـل

يقتلن أنضاء حب لا حراك بهـا ... وينحرون كرام الخيـل والإبـل (٣)

يُشفَى لديغُ الغواني فى بيوتهـمُ ... بنهلةٍ من لذيذِ الخمرِ والعَسَـل (٤)

لعل إِلمامةً «بالجِزعِ» ثانيـةً ... يدِبُّ فيها نسيمُ البرء فى عـلل

لا أكرهُ الطّعنةَ النجلاءَ قد شفعت ... برشقةٍ من نِبال الأعيُنِ النُّجُـل

ولا أهابُ صِفاح البِيض تسعدنـى ... باللمحِ من صفحاتِ البِيض فى الكِلَـل

ولا أخِـلُّ بغِزلان أُغازِلُهـا ... ولو دهتنى أسودُ الغِيل بالغِيَل (٥)

حبُّ السلامةِ يُثني هـمَّ صاحبـه ... عن المعالى ويُغري المرءَ بالكسل

فإن جنحت إليه فاتّخذ نَفَقـاً ... في الأرض أو سلّما فى الجوِّ فاعتزل

ودِعْ غمارَ العلى للمقدمين علـى ... ركوبها واقتنع منهـن بالبَلَـل

رضَى الذليل بخفضِ العيش يخفضُه ... والعزُّ عند رسيم الأينُقِ الذُّلُـل (٦)

---

(١) اللدان : جمع لدن وهو اللين .

(٢) جاء فى الغيث المسجم :

فالحب حيث العدى والأسد رابضة ... حول الكناس لها غاب من الأسل

نؤمٌ ناشئةٌ بالجزع قد سقيت ... نصالها بمياه الغنج والكحل

(٣) الأنضاء : جماعة العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم.

(٤) الجزع : منعطف الوادى .

(٥) الغيل : موضع الأسد . بالغيل : الغوائل الدواهى .

(٦) الأينق : جمع ناقة (جمع قلة) .

فادراً بها فى نحورالبيدِ جافلةً ... معارضاتٍ مثانى اللُّجمِ بالجُدُلِ

إن العُلا حدّثتني وهْيَ صادقةٌ ... فيما تحدّث أن العزّ فى النُّقُلِ

لو أن فى شرف المأوى بلوغ مُنًى ... لم تبرحِ الشمس يوما دارةَ الحَمَلِ

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا ... والحظ عنّيَ بالجُهّال فى شُغُلِ

لعله إن بدا فضلي ونقصُهمُ ... لعينه نامَ عنهم أو تنبّه لي

أعلّلُ النفسَ بالآمال أرقبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ

لم أرتضِ العيش والأيامُ مقبلةٌ ... فكيف أرضى وقد ولّت على عَجَلِ

غالى بنفسى عرفانى بقيمتها ... فصنتُها عن رخيصِ القدر مُبتَذَلِ

وعادة النصل أن يُزهى بجوهرِه ... وليس يعملُ إلا في يديْ بَطَلِ

ما كنتُ أُوثرُ أن يمتدَّ بى زمنى ... حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسّفَلِ

تقدمتنى أناسٌ كان شوطُهمُ ... وراءَ خطويَ إذ أمشي على مَهَلِ

هذا جزاء امرئٍ أقرانُه درجوا ... من قبله فتمنّى فسحةَ الأجلِ

وإن علانيَ من دوني فلا عجبٌ ... لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمس عن زُحَلِ

فاصبر لها غيرَ محتالٍ ولا ضَجِرٍ ... فى حادثِ الدّهرِ ما يغني عن الحِيَلِ

أعدى عدوّك أدنى من وثقت به ... فحاذرِ الناس وأصحبهم على دَخَلِ (١)

وإنّما رجلُ الدنيا وواحدها ... من لا يعوّل فى الدنيا على رجُلِ

وحسنُ ظنِّك بالأيام مَعْجَزَةٌ ... فظُنّ شرّاً وكنْ منها على وَجَلِ

غاضَ الوفاءُ وفاض الغدر وانفرجت ... مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعملِ

---

(١) الدخل : المكر والخديعة .

وشانَ صدقك عند الناس كِذبُهُمُ ... وهل يُطابَقُ معوَجٌّ بمعتـدِل

إن كان ينجع شيءٌ في ثباتِهم ... على العهود فَسَبْقُ السيف للعَذَل

يا وارداً سؤر عيشٍ كلُّه كَدَرٌ ... أنفقت عُمرك في أيامك الأُوَل

فيم اعتراضُك لُجَّ البحرِ تركبُهُ ... وأنت تكفيك منه مصَّةُ الوَشَل (١)

ملكُ القناعةِ لا يخشى عليه ولا ... يُحتاجُ فيه إلى الأنصارِ والخَوَل (٢)

ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثباتَ لها ... فهل سمعت بظلٍّ غيرِ منتقل

ويا خبيرا على الأسرارِ مُطَّلِعاً ... أصمت ففي الصّمتِ منجاةٌ من الزَّلل

قد رشَّحوك لأمرٍ إن فطنتَ له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل

---

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) الخول : الحشم .

لاميــة الهنــد

يا سائقَ الظُّعن في الأسحارِ والأُصُلِ سلِّم على دارِ سلمى ، فابكِ ثم سَلِ

عن الظِّباء التى من دأبِها أبداً صيدُ الأُسودِ بحسنِ الدَّلِّ والنَّجَلِ (١)

وعن ملوكٍ كرامٍ قد مَضَوا قِدَداً حتى يُجيبَك عنهم شاهدُ الطَّلل (٢)

دارٌ إذا رحلتْ عنها سُلَيْمُ ، غدتْ مَهَا المهامِهِ فيها ، لا مَها الكِلَل

أضحت ، إذا بَعُدت عنها كواعبها أطلالها مثل أجفانٍ بلا مُقَل

إنّ الظباء التى أصبحن رافلةً فيها ، لها حَوَرٌ صِينت عن الحِوَل (٣)

إنّ كنّ مستغنياتٍ فى تزيُّنِها عن الحليّ وكحْل العَين والحُلَل

فإنّ من ملكت قلبي ، لها شرفٌ على المها العِين والآرام بالإِطِل (٤)

فدَى فؤاديَ أعرابيةً سكنتْ بيتاً من القلبِ معموراً بلا حِوَل

من نور وُجْنتِها ، من حسنِ غُرّتِها من طيبِ طُرّتِها ، من طرفِها الثَّمِلِ

الشمسُ في أَسَفٍ ، والبدرُ في كَلَفٍ والمسكُ فى شَغف ، والريمُ فى خَجَل

بخيلةٌ بوصالِ المستهامِ بها والجودُ فى الخَوْدِ مثلُ البخلِ في الرَّجُل

كأنّها ظبيةٌ ، لكنّ بينهما فرقاً جلياً بعظْم الساقِ والكَفَل

خيالُها عند من يهوَى زيارتَها أَحلَى من الأَمنِ عند الخائفِ الوَجِل

كيف السبيلُ إليها بعدَ أن حُفِظَت بالبيض والسُّمْرِ في أعلى ذُرى الجبل

---

(١) الدل : التغنّج . النجل : سعة العين .

(٢) قددا : جمع قدة وهى الفرقة من الناس تختلف أهواؤهم .

(٣) الحول : الزوال .

(٤) الأَطل : الخاصرة .

طرقتُها فجأةً والليلُ في جَذَلٍ ... والذئبُ في كسلٍ والقومُ في شُغُلِ

قالت : "لك الويلُ هلّا خِفتَ من أسدٍ؟ ... له بَراثِنُ كالعَسَّالة الذُّبُـلِ(١)

فقلت : "إني مليكٌ صيدُه أسَـدٌ ... وصيدُ غيريَ من ظبيٍ ومن وَعِلِ

قالت : "فما تبتغي لا منعَ" قلت لها ... كلّا ، فإني عفيفُ القولِ والعَمَـلِ

وإنني رجلٌ من معشرٍ سَحَبُـوا ... ذيلَ التبتُّلِ والتقوى على زُحَلِ

لا يطمعون ولكن كان دَيدَنهُـم ... إعطاءُ ما ملكوا كالعارضِ الهطِـلِ

أسدٌ إذا سَخِطوا أفنوا عدوَّهُـمُ ... قومٌ إذا فرحوا أعطَوا بلا مَلَـلِ

ما قال قائلهم يوما لواحدهـم : ... " لو كنت من مازنٍ لم تَستَبِح إبلي(٢)

يا طالبَ الجاه في الدنيا ، تكون غداً ... على شفا حُفرة النيرانِ والشُّعَـلِ

يا طالبَ العزِّ في العقبى بلا عملٍ ... هل تنفعنّك فيها كثرةُ الأمَـلِ

يا أيها الطِّفْل ، أنت الطِّفل في أملٍ ... وشمسُ عمرك قد مالت إلى الطَّفَـلِ(٣)

يا من تطاولَ في البنيانِ معتمداً ... على القصورِ وخفضِ العيش والطُّولِ

لأنت في غفلةٍ والموتُ في أثـرٍ ... يعدو وفي يده مستحكمُ الطِّيَـلِ

فاقنع من العيشِ بالأدنى تكن ملكاً ... إن القناعـةَ كنزٌ عنك لم يـزُلِ

ثم اغتنِم فرصةً من قبلُ أن ضعُفت ... قواك من سَطوة الأمراض والعِلَـلِ

ولا تكن لمزيدِ الرزق مضطربـاً ... واقنع بما قسَّم القسّامُ في الأزلِ

---

(١) العسالة الذبل : الرماح الدقيقة .

(٢) المصراع أول قطعة حماسية لقريط بن أنيف أحد بني العنبر . والسبب ، على ما حدث أبو عبيدة ، أن ناسا من بني شيبان أغاروا عليه ، فأخذوا له ثلاثين بعيرا . فاستنجد قومه فلم ينجدوه ، فأتى مازن تميم ، فركب معه نفر ، فأطردوا لبني شيبان مائة بعير ، فدفعوها إليه ، فقال هـذه الأبيات .

(٣) الطفل : بالفتح الناعم ، وبالكسر المولود الصغير ، وبالتحريك وقت الغروب .

لا تغترِرْ بزمانٍ كان شيمتُــه	إن عَـزَّ عِـزّاً بِعِزٍّ منه منتقـلِ
فلا يغرن دنياكم ، فـإنّ بهــا	من عز بَـزّ ،فكنْ منها على وَهَـلِ (١)
أكّالةٌ ،أكلت كالهرِّ ما ولـدت	حيّالـةً قتلت من جاءَ بالحيَـلِ
ولا تَخَـل أنها تَختـالُ دائمـةً	وأنت مُبتَهِجٌ بالخَيـلِ والخَـوَلِ (٢)
وبالشبابِ الذى كالـبرقِ فى نظرٍ	وبالحياةِ التى كانت على عَجَـلِ
فلا تشـقّ بحياةٍ ،من يعيش غدا	يوماً يموتُ ،أجلْ مستأخِـرَ الأجَلِ
ما تنسَ ، لا تنسَ ذنباً كنتَ فاعلَـه	استَغفِرِ الله ذنبـاً غيرَ مُحتَمَـلِ
ولا مناصَ من اللهِ العزيزِ ، وإن	فررتَ منه إلى الدّاماءِ والقُلَـلِ (٣)
أمرت نفسيَ شيئاً قد أمِرتُ بـه	يا ليتها قبلت ما قلت من قِبَلـي
فما أبت ، فأتت بالعُذرِ خائفـةً	من الملامـةِ والتّفريطِ والزّلَـلِ
فالعذرُ منها ،ومنّي العذلُ ،واعجبا	إني تحيرتُ بين العذرِ والعَذَلِ
يا أيهـا الناسُ ، إن العمرَ فى سفرٍ	وإن أوقاتكم ، والله ، كالظلَـلِ
إن المنايا بـلا شـكٍّ لآتيـةٌ	وأنتمُ في المنى والمَيْنِ والكَسَلِ (٤)
طابت حياة لصعلوكٍ له سَغَـبٌ	وقلبـه بات ذا صبرٍ وذا جَـذَلِ
العلمُ والحلمُ والإحسان دائمـةً	والصبرُ عند البلايـا سنةُ الرُّسُـلِ
طوبى لذي عُسُرٍ ، بالفقرِ مفتخـرٍ	بالجوعِ مبتهـجٍ ، بالله مشتغـلِ
هيهات! أين الأولى كانوا أولي شرفٍ	ومكنـةٍ وعلاً فى الأعصُرِ الأُوَلِ!
لله درُّ فقـيرٍ مالكٍ أدبــاً	وحُسْنَ خلـقٍ ، بفضلِ الله مكتفـلِ

---

(١) من عزيز "مثل " الوهل : الفزع .
(٢) الخول : العبيد والاماء وغيرهم من الحاشية .
(٣) الدأماء : البحر
(٤) المين : الكذب .

فجاهد النفس والشيطان مجتهداً ... بالفرض والنفل ، حتى فاز بالنفل(١)

ولم يكن فخره الا بعزة من ... أغنى الأعاجم والأعراب بالدول

محمد خير خلق الله قاطبة ... هو الذى جل عن مِثْلٍ وعن مَثَل

له المزايا بلا نقص ولا شبه ... له العطايا بلا مَنٍّ ولا بدل

له المكارم أبهى من نجوم دجى ... له العزائم أمضى من قنا البطل

له الفضائل أجدى من عصا كسرت ... له الشمائل أحلى من جنى العسل(٢)

له بلاغ بليغ جل عن خطأ ... له كلام فصيح صين عن خطل

له جلال جليل جل منقبة ... بين الأجلة أهل المجد والجلل

له جمال ، إذا ما الشمس قد نظرت ... إليه ، قالت : " ألا يا ليت ذلك لي ؟ "

أقام دينا متينا ، فاستقام له ... إلى القيامة معصوماً بلا خلل

وأيد الحق والإسلام محتسباً ... بالآبي والرأي والهندي والأسل

النصر قادمه ، والفتح خادمه ... كلاهما عن حماه غير مرتحل

بوجهه يخجل البدر التمام كما ... سواد ليل بفرع فاحم رجل

بطيبه طيبة كالمسك طيبة ... ورمل مكة منه دائم الرمل

أوصاف جوهره السامي سمت شرفا ... عن البسيط وركض الخيل والرمل

وعن جميع بحور كان قارضها ... مثل امرئ القيس فى التجويد والكمل

الجود من جود كفيه إذا هطلا ... والبحر جم العطايا منه فى خجل

ومعجزات له كالشمس ظاهرة ... منها إليه حنين الجذع والجمل

---

(١) النفل : الغنيمة .

(٢) أجدى من العصا الكسيرة " مثل " .

إذا مشى كان يُزري حُسنُ قامته ... بسمهريٍّ متينِ الزُّجِّ معتدلِ [١]

ما كان في عمره إلا أخا ترحٍ ... ألا أقام قناة الدين بالنَّصَلِ

يا أعظمَ الناس من حاجٍ ومعتمر ... وأكرمَ الخلق من حافٍ ومنتعل

أتيتنا بكتاب جلّ منفعة ... وجئتنا بسبيل ناسخ السُّبُل

بُعِثتَ بالملة البيضاء راسخةً ... عفا بها سائر الأديان والمِلل

أفحمت كل بليغ بالكتاب كما ... جادلت بالسيف أهل الجِدّ والجدَل

رُسْلُ الاله عيون في خليقته ... وأنت فيها بعون الله كالكحل

أضحى طلوعك يا شمس الضحى أبدا ... وقد غُنيت عن الميزان والحَمَل

أم التمني إذا جاءتك سائلة ... أرجعتها وهي في عقر مع الحَبَل [٢]

نداك أكثره لا ينتهي أبدا ... لكن أدناه أندى من ندى السَّبَل

إن الحسام كثيرا قُلَّ مضربُه ... وسيفُ عزمك لم يُنسب إلى القَلَل

وريح طِيبك للكفار ضائرة ... مسيرةَ الشهر مثلَ الوَرد للجُعَل

الجبن عندك مذموم ومطرح ... كالحرص والكذب والاسراف والبخل

يا أعدل الخلق إنصافا ومعدلة ... وأفضل الناس إسعافا بلا مَهَل

نعم الرجال التى أرواحَهم بذلوا ... يوم القِراع بلا جُبْن ولا فَشَل

كذاك ما ملكت أيمانُهم رَغَبا ... فيما رضيت بلا وَعد ولا مَذَل

صدّيق أمتك الغراء، ثم أبو ... حفص، فعثمانُ ذو النورين، ثم على

---

(١) الزج : الحديدة التي في أسفل الرمح .

(٢) الحبل: الغضب والغم .

أُوتوا علوما وأعمالا بلا ريَب ... نعوذ بالله من علم بلا عمل

فصحبك الغرُّ باقٍ فضلُهم أبدا ... وفضل أمتك الباقين لم يزَل

وأهلُ بيتك فينا رحمة نزلت ... أهلُ الطهارة عن رجسٍ وعن دَخَل(١)

لا همَّ لا هُمَّ ، شرَّف روحَ كلهم ... بَروح قُربك والرَّيحان والنُّزل

يا سيد المرسلين المكرمين أَنِم ... شفاعةً لعُبيْدٍ ضارعٍ وَجِل

أردتُ مدح نبي الله مجتهدا ... حتى عَجَزتُ فقال العقلُ لي : فقل

يا عبدَ مقتدرٍ ، أوصاف سيدنا ... تعلو عُلُوًّا عن التفصيلِ والجُمَل

---

(١) الدخل : العيب في الحسب .

لاميــة الأتـــراك

بدأتُ بذكر اللّه نظميّ مُبَسمِــلا ... على كلِّ حالٍ شاكراً ومُحَمْدِلا

وأهدي إلى الهادي الأمين محمّدٍ ... صلاةً وتسليماً يضــوعان مَنْــدَلا (١)

وبعدُ فلمّا راق دَهْري لحالــتي ... وأوصلني ما كنتُ منه مؤمّــلا

بسعيي إلى صدرِ العُلاخيرِ عُنصرٍ ... لمنْ ذكرُه فوقَ المنابـرِ قدْ علا (٢)

فألفيتُه لمّا قصدتُ نوالَـــه ... جواداً كبحـرٍ طابَ شُرباً ومنهلا

فأحببْتُ أن آتي ببعضِ مديحِــه ... ومدحِ إمامٍ بالعلومِ تفضّــلا (٣)

وأُعقبُه نظماً وجيزاً ملخّصــاً ... حوى كلَّ معنًى رايــقٍ فتجمّلا

فأضحى مفيداً للمُريديــن نزهــةً ... كروضٍ تــراه نبتُــه ثمرٌ حـــلا

مع أنّ يديّ في نظمِ شعرٍ قصيرةٌ ... وفي كلِّ علمٍ داخلٌ متطفّــلا

---

(١) يضوعان : يفوحان ، والمندل : الطيب ، ومندل موضع بالهند يجلب منه العود

(٢) لم يرد في التعليقات التى على المخطوط إشارة لاسم هذا الحاكم.

(٣) الامام هو سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح بن أبى بكر بن سعد شيخنا القاضى سعد الدين شيخ المذهب العالـم الكبير وحامل لواء التفسير أبو السعادات بن القاضى شمس الديـن النابلسى الأصل المقدسى الحنفى نزيل القاهرة ويعرف بابن الديرى ولد سنة سبعمائة وثمان وستين ، وتوفى سنة سبع وستين .

انظر الضوء اللامع جـ ٣ : ٢٦٩ وما بعدها .

مدح ولد المقام الشريف خلد الله ملكه

حَوى الحُسنَ خلقاً ثم خُلقاً وسيرةً ... وفي أمرِهِ والنّهي قولاً ومفعَلا

وعقلاً وآداباً وحلماً وفطنةً ... وعلماً وإنصافاً ومجداً تأصّلا

يقرّبُ أهلَ العلمِ يبعدُ جاهلاً ... وينصِفُ مظلوماً ويهدي مُضَلَّلا

ثقيلٌ على قلبِ العِدا في حروبه ... خفيفٌ على ظهرِ الجوادِ إذا عَلا

له همّةٌ تعلو على كلِّ همّةٍ ... وقد رُ سما فوقَ السِّماكِ تنبُّلا

فكم من يدٍ بيضاءَ جادَ لصامتٍ ... وخضراءَ للملهوفِ إن جاءَ سائلا (١)

لقد كنتُ بين الخلقِ نِسْياً كميّتٍ ... تَنَسّوه فلا في العيرِ أُذكرُ ولا ولا (٢)

فألبسني أثوابَ عزٍّ ونعمةٍ ... حَييتُ بها من بعدِ ذلٍّ تطوُّلا

فيا ربِّ أخمِدْ نارَ أعدائه وكُنْ ... له حافظاً من كلِّ زيغٍ تميّلا

---

(١) اليد البيضاء للعطاء من غير سؤال ، والخضراء للعطاء عن سؤال .

(٢) أي ولا في النفير ، وهو مثل .

مدح الشيخ العلامة سعد الدين بن الديرى خلد الله وجوده

جزى اللّهُ سعدَ الدِّينِ سعداً مخلّداً ... به يرتقى أعلى المنازلِ فى العُلا

مُوافٍ ووافٍ، للأرامــلِ كافــلٌ ... وشاف وكــاف (١) ومعلــلا

وحابٍ وحامٍ سـايلاً ومنِ التجـى ... مليحٌ فصيحٌ سادَ سحبانَ مقولِا

مناقبُـه شاعتْ ففاحتْ على الـورَى ... عبيراً وطيباً ثم مِسكاً ومَنْــدَلا

فكم حـلَّ إشكالاً بإحكـامِ علمِه ... وفسَّـرَ إبهاماً وأوضـحَ مُجمَـلَا

بألفاظِـه تشفَى النفوسُ كأنَّهـــا ... لهم عَسجدٌ يُشفى به من تعلَّــلا

فيا خيرَ مسئولٍ تواتــرَ بِـــرُّه ... أغِثْـه بعفوٍ منَّـةً وتفضَّـــلا

ذكر النظــم الوجــيز

إلى اللّهِ دعْ تفويـضَ أمرِك مطلقاً ... فما كانَ آتٍ لِلخلائــقِ ما انجـلَا

فصورةُ شرٍّ وهيَ خـيرٌ وقلبُهـا (٢) ... كشهدٍ لذيــذٍ فيـه سمٌّ تخلَّــلا

---

(١) كلمة مطموسة فى المخطوط ولعلها "سائلا"

(٢) قوله "وقلبها" أى قلب العبارة السابقة ، يريد صورة خير وهى شر.

وداريَولِنْ وأصبرْ وسامحْ وجدْ وزِدْ ... وكافِ وعُدْ وارفقْ وقلْ وتحمّلا

ورقّع بلطفٍ كل خرقٍ تجاوزاً ... ورفّع وغلّظ إن بـه تتوصّلا

ولا ترتجِ من لمْ يكنْ لكَ منصِفاً ... وهل منصفٌ أفديه نفسي من البلاَ

لقولِ العِدا لا تلتفِتْ فهوَ باطِلٌ ... كذا كلّ قولٍ للحسودِ فأبطِلاَ

وإنْ تستمع من ناقلٍ ما يسوءُ كن ... حريصاً على أن تلتقِي فيه محمّلاَ

تجنّبْ قبيحَ المزحِ قولاً ومفعَلاً ... وكن كاتمَ النّجوى وللعيبِ جلّلا

وودّع لخلٍّ إن ترحلَّ مدبرا ... وزره على فورٍ إذا عادَ مُقبِلا

وأحسنْ بأهلِ الدّين ظنّاً لما ترى ... ولا حرجٌ فى العكسِ عند الكبيرِ لا (١)

إلى كلِّ جيّدٍ فاستبقْ قبلَ فوتِه ... كسبقِ عليٍّ للغُزاتِ منَ اقبَلاَ

وإيّاك لا تزرعْ جميلاً معَ الْكَعِ ... يجازي قبيحاً آجلا ومعجّلا

من المرءِ من يطلبْ خلافَ طباعِهِ ... فيعيا وهل للطّبعِ أن يتحوّلا

ودّعْ علمَ نجمٍ ثم حرفٍ وسيميا ... وترت تتلللن تنى (٢) تاتنا تلا

---

(١) المراد عدم احسان الظن .

(٢) هكذا فى المخطوط.

كذا طمعاً في الكسب مِنْ علم جابرٍ ولِن كان حقّاً فالطريقُ تعطّلا (١)

فمن خاضَه يلقى الغبونَ وحسرةً يموتُ بها رغماً ولن يتوصّلا

فما كيمياءُ المرءِ غيرَ سلامةٍ بدينٍ وعمرٍ كي به يرتقي العُلا

شبيهَك فاصحبْ إن ترمْ لك راحةً وعن أرذلِ الأشباهِ كنْ متحوّلا

ولا تَصْحبَنْ بُوراً ولو جاءَ بالقِرى فإنتاجُه سمٌّ كالأرَاقطِ مُثّلا

وصاحبْ من الناسِ اللبيبَ فإنّه وان هينَ يوماً لم يزلْ متحمّلا

مجالسُ غيرِ الجنسِ يلقى مضرّةً كما ضرّ ريحٌ ذا طنينٍ تعلّلا

فمن عاشرَ الأجوادَ يوماً يعودُ في أمانٍ من الأعداءِ والهمِّ والبَلا

فعارٌ على الأجوادِ إن حسّمُوا له ذ ماماً ولو عدُّوه ممّن تطفّلا

ولا تزدرِ المرءَ النّحيفَ وطمرَهُ فكم ناحفٍ تلقاه ليثاً مشنشلا

وعلّم لفرعٍ كلَّ فرضٍ وسنّةٍ وعوماً ورمياً ثم خطّاً مجمّلا

وكن حذِراً من كلِّ خَودٍ تقيّةٍ ومنها وفاءُ الودِّ لا تتأمّلا

ففيهنّ مَنْ يسوى جناحَ بعوضةٍ وفيهنّ من يسوى الجواهرَ والحُلا

---

(١) علم جابر : الكيمياء .

غداؤك بكران ترى فهو نافع ... ووقت العشا قبل العشاء تفضلا

وعن ثلث مصران تجنب زيادة ... فان زدت كرها بطنة ومثقلا

وكل أذى للحامض أصرم بضده ... وإضرار حلو بالحموضة زيلا

ومن بعد هضم فالجماع مفضل ... وأحسنه عند انتشار تكسلا

وشاور محبا عاقلا واحذر الكعا ... وميتا ومن بالغير عنك تشغلا (١)

وتب عاجلا دع آجلا من تسوف ... فما فات فات الوقت ،للحال فاعملا

وقل فتى يلقى مناه براحة ... وهل جوهر دون المشقة حصلا

تجاوز بحلم عن مسيء أسا عسى ... يتوب وهل تلقى من النقص من خلا

وأصلا أطع ما عشت في غير مأثم ... وأمك أولى بالنوال فعجلا

وإني لديغ القلب والجسم والحشا ... أن ألقى حريف الغمر نكسا تسفلا (٢)

وعز بأن ألقى خليلا موافقا ... كما عز في الغربان أعصم أهملا (٣)

---

(١) الألكع : الأحمق ،والمراد بالميت هنا الجاهل ،قال الشاعر :
وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور

(٢) المحارفة : المفاخرة ، والغمر : السيد الكثير العطاء .

(٣) الغراب الأعصم : هو الذى في جناحه ريشة بيضاء أو الذى احدى رجليه بيضاء ، وانما يقال هذا لكل شئ يعز وجوده .

لقد ذهبَ الأخيارُ ممّن تسلّكوا وأبقوا من النّسناسِ خلفاً مهلهلا

قلوبُهمُ قشرٌ ووصلُهمُ قِلىً ووعدُهمُ مطلٌ ونيلُهمُ خَلا

تجنّبْ لثورٍ قد تعصّبَ عنزةً تحلّى بشيخٍ ضلَّ رشداً وضلّلا

يعدّدُ أنساباً له وهوَ فارغ يريدُ سمُوّاً يستحقُّ التسفّلا

ويخطرُ في خطوٍ مهزّاً لعطفيه ومن فوقه ثوبٌ ومنديلٌ أسقيلا (١)

وينقلُ أخباراً بجهلٍ مركّبٍ إليها بسيطُ الجهلِ بالقلبِ مقبِلا

فكن حاوياً علمَ الشّريعةِ أوّلا به تلتقي علمَ الحقيقةِ أكمَلا

وإنّي لراضٍ بالخمولِ لعلّ أن أنالَ به كنزَ السّعادةِ في العُلا

أأترك عزّاً سرمديّاً لزايلٍ أأرغبُ في تربٍ وللتّبرِ أُهمِلا

فأفٍّ لدارٍ لا بقاءَ لعيشِها وتبّاً لمن فيها الغنيمةَ أمّلا

وقنّعني فيها نصوصٌ تواترت كقلٍ ثمّ منها قوله "للذين لا" (٢)

---

(١) السقل : لغة فى الصقل ، وهو ما يوضع تحت الثوب من كساء .

(٢) اشارة الى قوله تعالى : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) آية ٧٧ من سورة النساء . والى قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) الآية ٨٣ من سورة القصص .

فإن كفني عن نعمةٍ فهو ما لكــي ... فذا الكفُّ منه بالعطيــّة أوّلا

فقد (١) الله من شاء محنـــة ... فإن وفّق الصبرَ الجميـلَ محملا

تدارَكَ ما يرجو ويرزق وادعــاً ... ويلقى إلى الخيراتِ سُبْلاً معجّلا

فمن يستقِمْ في خلّتي استقمْ لــه ... ومن رامَ تعويجاً فحسبيَ ذا العلا (٢)

وإني لعيب الخدنِ ما عشت ساترا ... ولو نلتُ منه كُربةً وتَملمُلا (٣)

وكيف أشينُ الخدنَ جهلاً بعيبه ... وبي ما بهِ مهْ ما اعتدلتُ لأعدِلا

وللظّبي أهوى والغزالةِ إن أرى ... أُنزّه طرفي فى الجمال مسبحِلا

وأمنعُ نفسي أن تنالَ محرّمــاً ... إذا لم يكنْ في السَّبْقِ قدَّرمنْ علا

مدادِيْ وكتبي معْ يراعي وخلْوتي ... بهم سَلْوتي عن كلّ نذلٍ تسفّلا

وروحي وراحي راحتى ثمّ فرحتي ... جليسٌ أنيسٌ بالعلومِ تفضّلا

وأرجو لما لا أرتجيه فربّمــا ... تعسّر ميسورٌ وعسرٌ تسهّلا

فيا طالما ذو علّةٍ نالــه الشفــا ... وعايِده رغماً إلى القبرِ حوّلا

---

(١) كلمة غير واضحة لعلها " يبتلى ".

(٢) حسبى ذا العلا أى يكفينى شره.

(٣) الخدن : الصاحب.

فالأيامُ أبكتْ تارةً ثمّ أَضْحَكَتْ ... وتضحكُ أخرى ثم تبكي تطوّلا

فطوبى لعبدٍ أخلفَ الخيرَ بعدَه ... ولاقى شديدَ النائباتِ محوقِلا

أرى الطّيرَ شفعاً إن تسفّل أو علا ... فأحسدُه جَهْدِي وأدعو "ربِّ لا" (١)

فيا رازقَ النّعّابِ قوتاً بعشّه ... بما رمتُ جُد لي مِنّةً وتفضّلا

قد أمّلت فيك الخيرَ يا خيرَ مقصدٍ ... فحاشا وحاشا أن تردَّ من أمّلا

وإنّي لريّانٌ وإن كنتُ ظامياً ... إذا عادَ يَسقِيني وضيعٌ تنبّلا

كذا زفرٌ ينكفُّ عنْ وِردِ منهلٍ ... إذا عادَ من وَلْغِ الكلابِ موحّلا

وصيدي أسودُ البرِّ واللخمَ هيِّناً ... ولا بذلُ وجهي سافلاً متنبّلا (٢)

وأَهْجُرُه هجرَ الأيايلِ عندما ... تحومُ لوردٍ طابَ شرباً ومنهلا (٣)

إذا لم ألاقي ذلّ مسغبةٍ فإن ... ألاقي فلا عتبٌ عليَّ أنَ أسأَلا

ولي أسوةٌ بالقسوراتِ إذا نَما ... بها الجوعُ ترضَى بالذى جِيفٍ فى الفلا (٤)

---

(١) إشارة الى قوله تعالى " وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا) آية ٨٩- من سورة الأنبياء .

(٢) اللخم : صنف من سمك البحر.

(٣) الأيايل : جمع أيل وهو ذكر الأوعال .

(٤) القسورات : الأسود ، ونمى : زاد .

وفي المدن شرّفْ مكة ثم تِلْوَهـا ... وللقدس والشام المبارك فضـلا

بها قاسيون (١) ثمّ كهفٌ وربوةٌ ... كذاك مقامٌ للخليل تبجـلا

عليه بها من رامَ مُكْثاً بنزهةٍ ... وعيشٍ رحيبٍ السّرور تكمّـلا

وإلّا بمصرٍ عظّمت بأليس لي ... وسلطانُها فخرُ العلا بعلى علا (٢)

بها العلمُ ميسورٌ وقلةُ حاسدٍ ... وأمنٌ وإشفاقٌ لمن أقبـلا (٣)

بشيئين في البلدان شُرِّف قدرُها ... بنيلٍ ومقياسٍ على وسطِه عـلا (٤)

وفي أينما شاءَ الإقامةَ فليقِمْ ... عفيفاً بالغبراءِ لمن يتجملا

ويا غافرَ الذنبِ العظيمِ بحلمِه ... ويا ساترَ العيبِ القبيح تفضّلا

تجاوزْ بصفحٍ عن ذنوبٍ جنيتُها ... بجهلٍ وتقصيرٍ أخيراً وأوّلا

فإن كانَ ذنبي بالإساءةِ قد نما ... فعفوُك أنمى لا أخيرَ له ولا

وإنْ كان فقري قد تطاولَ شأنُه ... وصرتُ طريداً في الخلائقِ أسفَلا

---

(١) قاسيون : اسم جبل .

(٢) في الشطر الأول اشارة الى قوله تعالى (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى) الآية ٥١ من سورة الزخرف . وفي الشطر الثاني اشارة الى قوله تعالى (قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم) الآية ٥٥ من سورة يوسف .

(٣) هكذا وهو مضطرب .

(٤) المقياس هنا هو ما يعرف باسم مقياس الروضة عند أهل مصر ويستخدم لقياس منسوب ماء النيل .

فمَنْ ذا الذي أرجو سواك لفاقتي ومن ذا الذى أدعوه فى الضُّرِّ سائِلا

رجائِي وخوفي فيك منك تساوِيا فجدّ لي بما أرجُو أعذني من البَلاَ

وإنِّي مع التوحيدِ ظنِّي بخالقي جميلٌ فحسبِى ما ظننت مؤمِّلا

ويا قارئاً للناظمِ أمننْ بدعوةٍ واما تصِبْ نسجَ القريضِ مُهلْهَلا

تجاوزْ وسدِّد مصلِحا لعوارِه وسامحْ بعفوٍ فالكمالُ لذي العُلا

واَستغفر البرَّ الجواد قبيحَ ما زللت به قولاً كذلِك مفعَلا

وأحمدُه حمداً يكافي مزيده على نِعمٍ لم أحصِها أوّلا ولا

وأشكرُه شكراً جزيلا مؤمّلا مراحمَه ،أخاب فيه من أملا

وأهدى صلاةً مع سلامٍ لأحمدٍ بشيرٍ نديرٍ للبريَّة أُرسِلا

ومن بعده أزكى وأسنىَ تحيَّةٍ تضوعُ على التكرارِ مِسكاً ومَنْدَلا

على آله مع صحبِه ثم من تَلاَ هُمُ عددَ الأوراقِ والقطرِ والكَلاَ

لامية الروم

اسمعْ أخي في اللّهِ عشتَ طَويلا	ما صغْتُه لكَ إن رُزقتَ حَويلا (١)
خَفْ خَالقَ الأشياءِ تأمنْ غيرَه	خالفْ هواك تنلْ بِه المأمولا
واستصحبِ الأخيارَ تكسبْ عزهمْ	من عاشرَ الأشرارَ عاش رَذيلا
لا تصحبِ الفسدَى فتصبح قايلاً	يا ليتني لمْ أتخذْه خَليلا
لا شكَّ دينُ المرءِ دينُ خليلِه	فدعِ الفَسيِّدَ وصاحبِ المشمُولا (٢)
عِظْ جاشَك الضلّيلَ ثمَّ عظِ الورى	تُسْرعِ نُجوعاً فى الحَشا وشُمولا (٣)
اظهرْ سكوتاً ما استطعتَ مُجالِساً	للغافلينَ وأضمرِ التَّهليلا
لا تتركِ الأنفاسَ ذايبةً سدىً	واجعلْ تحيطُ بها الحَصاةُ شمُولا (٤)
وأقمْ على سهرٍ وجوعٍ واعتزلْ	فيهم يروْكَ مبجَّلا ونَبيلا
سافرْ وأنتَ على الإقامةِ ثابتٌ	اصلحْ خلالَك ظاهِراً ودخِيلا

---

(١) الحويل : الحذق وجودة النظر.

(٢) الفسيد هو الفاسد : وفسدى جمع فاسد ،والمشمول الحسن الشمائل .

(٣) نجوع الموعظة فى القلب يكون بتأثيرها ، والشمول فى البيت بمعنى المكث.

(٤) الحصاة العقل واللب .

واجعلْ حِمارتَك التي تمشي بها نصْباً لعينيك لا تسير غفولا [١]
وذرِ الكرى والطيرُ في وكراتها واسجدْ لربّك بُكرةً وأصيلا
وفّر جمالك بالعبادة في الدُّجى والبسْ حُلَى التقوى تكن بُهلولا
نوّر زجاجته بمصباح التّقى ومن اتقّوا لا يظلمون فتيلا
واقنعْ تنلْ مالا تحسُّ نفادَه باكرْ تُصِبْ خيراً رُزقتَ رَسيلا [٢]
البِرُّ حسنُ الخلقِ والدِّينُ النصيحةُ (م) يا أخي في الدِّينِ أحسن قولى
لا تمشِ في أرضِ الخداعِ فإنّه من صادَ فيها صادفَ الأُحبُولا [٣]
ارفعْ على خيرِ المقالِ مخاطِباً واجعلْ قليلاً في الكلامِ دليلا
إنْ لمْ تعد فيها وإنْ أبدأتَها فبها سريعاً واهجرِ التطويلا [٤]
واثبتْ على صدقِ الحديثِ فإنَّه يكسُوك بينَ القائلين قبُولا
وابعدْ عن الكَذِبِ الذي يدعُ الفتى في النّاسِ مردودَ الكلامِ حَسيلا
لا تَروِ عن أحدٍ تُرى متذايباً ما قاله فيضعفوه تقبيلا [٥]

---

(١) الحمارة : ظهر الرّجل .

(٢) الرسيل : الواسع .

(٣) الأحبولا : المصيدة .

(٤) تعد فيها : أي بعد الخطبة أو المقال ، والابداء معناه الاحداث في الحال

(٥) ترى : تظن ، والمتذايب المختلف المضطرب والشطر الثاني مضطرب .

وإليك عن مستبعَدَاتِ عقولِهم ... ولئِنْ أقمتَ لها الشُّهودَ عُدُولا

فاجعلْ حديثك فى الورى ثبتاً نمي ... خبرَ الجهينةِ واجتنبْ تَبْكِيلا (١)

وإنِ اقْتَضى خُذْ بالمعاريضِ التى ... تدخُلْ بها سِعَةَ الكلامِ عَجِيلا (٢)

لا تختلِقْ علمَ الذى يأتيْتَهُ ... فتَبِينَ وقتَ الامتحانِ جهُولا

واصمتْ لدى أمرٍ جهلتَ فإنَّه ... سببُ الفلاحِ ولا تمنْ تَجهيلا

إنَّ البلاءَ موكَّلٌ بالقولِ فارمِ ... الهذر واجنُبْ قولك الترْمِيلا

وإذا تكلَّم سايل انصتْ لَه ... فأجبْه واخترْ جامعاً وقليلا (٣)

شاوِر صديقَك في الشُّؤونِ ولا تمِلْ ... في كلِّ ما يُلقى إليكَ هَميْلا

واذا اشتشارَك واحدٌ ثبِّتْ له ... شيئاً تراه من الحديثِ شكُولا

لينِّ كلامَك في النَّصيحةِ واتَّبعْ ... ما أرشدَ اللّه الحكيمُ بِقَوْلا

واحملْ على النفسِ الشَّموسِ ثِقالَها ... واخترْ لغيرك هيِّناً تسهيلا (٤)

وابخلْ عليها بالذى تعتادُه ... وأدِمْ لها التَّسويفَ والتَّعليلا

---

(١) التبكيل : التخليط ، وفى المثل عند جهينة الخبر اليقين .

(٢) المعاريض : التورية بالشئ عن الشئ .

(٣) الفاء فى قوله فأجبه للتعقيب .

(٤) يقال فرس شموس أى يمنع ظهره .

آثر صديقك في مطالبها وصن | واجنب فؤادك أن يكون بخيلا
ابغض وهب واحب وامنع مخلصا | لله تصحب دينك التكميلا
وكن ابن أحذار لدينك تنج من | محذورة اليوم الشديد وبيلا
أكثر تحدث نعمة أوليتها | تحرز به شكر الجواد جزيلا
لا تخش من ذي العرش إقلالا وأنـ | فق ما اقتدرت كما رزقت حليلا
ساهل على طلب الكفاف معيشة | واستعط رب العالمين كفيلا
واقلل عيالا ما استطعت ولا تكن | فيما تمير إذا ائتمنت خطولا
حوج على رزاقها أرزاقها | يا عاجزا أتخالها تكفيلا (١)
ثق بالذي في قدرة الرزاق (م) | مما في يديك تحز غنى وكمولا
فيه ترى الأيام راغمة لديك | تدوسها وتردها تذليلا
ارغب عن الدنيا الدنية راغبا | فيما يسرك حين تعمد جولا (٢)
أهمل وأجمل في اطلاب متاعها | واطلب من الله الجليل خليلا
طلب الحلال جهاد نفسك فاجتهد | واقنع بما يؤتى إليك عوولا (٣)

---

(١) وصل الفعل المضارع "تكفى" بلا النافية .

(٢) الجول : ناحية القبر ، المراد افعل ما ينفعك ويسرك بعد الموت.

(٣) العوول الكفاية .

واقصدْ لخيرِ الزّادِ تبقَ مكرّماً   في كلِّ ما تسعى وتبقَ بَجيلاَ

لا تَغْثَ بالمالِ الكثيرِ فربّما   يأتي غدٌ وترى الكثيرَ قليلا (١)

وأقِلَّ من دينٍ تعشْ حرّاً ومنْ   ذنبٍ-وُقيتَ-تهن ردًى وأَصيلا (٢)

جانبْ ولو مقدارَ حبّةَ خردلٍ   ذنباً حقيراً إن خشيتَ جليلاَ

واجهدْ فكنْ غمرَ الرِّداءِ خفيفَه   واقضِ اللُّوامِ بِما ملكتَ شلولا (٣)

لا تجمعنَّ البخلَ فيك وسوءَ خلـ   ـقٍ وابقَ مرضيَّ الخصالِ مُنيلا

منْ منَّ بالإحسانِ ضاعَ صنيعُه   فاتركه إن أمّلتَ فيه قبولا

واذهبْ بِما لا يُعتنى بوجودِه   تصحبْ أخي إسلامك التأثيلا

وانفعْ عبادَ اللهِ تمكثْ أرضَه   إن كنتَ ترجو أن تعيشَ طويلا

فأَفِدْ علوماً أو تعلّمْ نافعاً   ما دمتَ حيّاً واهجرِ التعطيلا

وتجنّبِ الخيلاءَ والعلمَ الذي   يُلقي عليك خسارةً وغفولا

وذرِ التّفاخرَ بالجدودةِ يا أخي   إن زانك العقلُ البهيُّ فضولا

---

(١) لا تغث : أي لا يحصل في نفسك خبث ان كثر مالك .

(٢) وقيت: دعاء ، تهن من الهوان وهو السهولة ، والردى : الهلاك ، والأصيل الموت ، أي أقل من الذنوب يهن عليك الموت .

(٣) غمر الرداء : سخي كثير المعروف ، واللوام : الحاجة ، والشلول : طيب النفس سريع العون .

لا شكَّ من رُزِق الحِجَى حُرِم الغِنَى ... فاشكرْ بما أُوتيته تفضيلا (١)

فَذٌّ رَقيبٌ سهمُ أوغادِ الورى ... والوغدُ للنّابِ الجليلِ أثولا (٢)

سافرتُ في سهلِ البقاعِ وحزنِها ... فرأيتُ إخوانَ الصَّفاءِ قليلا

وخدمتُ من أسيافِها فولا ذها ... ولقيتُه وقتَ اللِّقاءِ كليلا

واصلْ صديقك إن جفاك بهفوةٍ ... وصنِ الودادَ وأمِّلِ التحويلا

بَلْهَ انتقامَ صنيعِ سوءٍ تسترحْ ... واللهُ منتقمٌ فسُرَّ دخيلا (٣)

وإذا أساءَ جهولٌ ادفعْ بالتي ... وأمِّلْ من اللهِ الصَّبورِ ذُحولا (٤)

فوِّضْ إلى المولى شؤونَ عبيدِه ... وذرِ اعتراضَ الجاهلين ذُهولا (٥)

---

(١) الحجى : العقل والفطنة .

(٢) فذ ورقيب قد حان من قداح الميسر لهما نصيب ،وأوغاد الناس سفلتها ،والوغد : قدح من أقداح الميسر لا نصيب له ،والناب : سيد القوم والأثول : المتأصل فكأنه يقول : ان حظ الأوغاد أعظم من حظ علية القوم.

(٣) بله : اسم فعل بمعنى كيف ،الدخيل هنا القلب ،أي كيف تنتقم والمراد ترك الانتقام لأن الله سينتقم وفي ذلك كله راحة للقلب .

(٤) الذحول : الأجر والمكافأة .

(٥) الذهول : النسيان .

لا تنكرن أحداً قبيحَ صنيعه — يكفيك أن لم تتخذه سبيلا

أغمض بعيبِ النَّفسِ عن عيبٍ ترى — في الغير توصف كاملا مشمُولا

لا تشمتنّ بالشَّينِ عنَّ لواحدٍ — واذكر قصورَ النفسِ تبقَ كميلا

واستر عيوباً تُبتلى بشعورها — ستري من اللّه الغفور بديلا(1)

لا تلوثنّ فماً بزانِك مانعاً — واشكرْ ولو أعطى القليلَ مُنيلا(2)

إن حفَّك الزمنُ القبيحُ بحاجةٍ — فافزعْ إلى وجهٍ تراه جميلا

اظفر بإنجاحِ الأمورِ بكتمِها — فإذا ظَهرت بها حرمت حصولا

إنَّ المجالسَ بالأمانةِ فاحتفظْ — بمقالِ من جالستَه تزميلا(3)

اطلبْ رضى مولاك فيما قلتَه — علناً وسرّاً واجتنبْ تحفيلا(4)

وإذا وليت على الورى فاصنع به — (م) المعروفَ واهجرْ ما عدا التنزيلا

من كانَ للرحمنِ كانَ له ومنْ — لم يرحمِ الضُّعفاءَ كان ضئيلا

لا تنظرنّ أحداً بعينِ حقارةٍ — متخيِّلا في نفسِك التَّبْجيلا

لا تحتقرْ خصماً وإن هو داخرٌ — أتشكُّ في قتلِ ابن قترةَ فيلا(5)

---

(١) تبتلى بشعورها : أي بالعلم بها أو الفطنة اليها .

(٢) لا تلوثن : أي لا تلطخ ، والزان : العيب ،أي لا تلطخ فمك بعيب مانعك حاجة .

(٣) التزميل : مصدر زمله اذا خفاه ولفه في ثوب ونحوه .

(٤) التحفيل : التزيين في الظاهر دون الباطن .

(٥) قترة : حية صغيرة خبيثه .

وتنحَّ عن إشعارِ نفسِك في الوَرَى فهوَ الوَرَى وتشفَّ منه خمُولا (١)

والله يفعلُ ما يشاءُ فإنْ أرادَ (م) ظهورَها يسمُو بها ترفيلا (٢)

عِشْ بينَ أظهُرِ خلقِه بتواضعٍ للّٰهِ يرفعُك العزيزُ نبيلا (٣)

ودعِ التكبُّرَ والتجبُّرَ خاضعاً واقنعْ بعزِّ الدِّين دُمْتَ بجيلا

لا تمشِ زوّاكاً ولا متبختراً لا حِظْ قيامَك في الحسابِ مثولا

كن عيثَلاً لا معجباً متبرّجا مثلَ النِّساءِ الجاهلاتِ بجُولا (٤)

مَنْ دامَ مِهزاقاً أماتَ فؤادَه فاطلبْ حياةً لا تمرُّ بطُولا (٥)

لا تسخطِ المولى لترضيَ عبدَه ادخل حِماه ولا تبالِ مُعيلا (٦)

الخُرقُ شينٌ لا يليقُ بعاقلٍ فاخرقْه واتركْه تصِرْ مجبُولا (٧)

---

(١) الاشعار : الاشهار ، الورى : الاولى تعنى الناس والثانية تعنى الداء ، لأن الورى داء يصيب الرجل في جوفه .

(٢) الترفيل : التعظيم .

(٣) شطر البيت في المخطوط هكذا " لله يرفع العزيز نبيلا " ولا يستقيم به وزن البيت .

(٤) العبثل : الذى لا يتزين وهو ضد المتبرج ، والبجول : الفرح .

(٥) المهزاق : الكثير الضحك مع خفة وقلة رزانة .

(٦) المعيل : النمر ويطلق على الذئب أيضا .

(٧) الخرق : ضد الرفق ، والمجبول : الرجل العظيم .

فالرِّفقُ لم يوجدْ بِشيءٍ شانَه ... بلْ زانَه أحسِنْ بِه تحْصِيلا

يا جامعاً سُحْتاً بمالِ مهاوشٍ ... تعطِي وتفخرُ بالعطاءِ جزيلا (١)

أجْنبتَ ثمَّ أخذتَ تقرأُ مصحفاً ... جودتَه وتلوتَه ترْتيلا

إنِ الختامَ هو الملاكُ فلا تقلْ ... فيما رأيتَ كما ترى تسجيلا

يا ربِّ اصلِحْني بما صلحَتْ بِه ... نُجَباءُ خلْقِك مُكْثِراً وخلِيلا (٢)

حرِّكْ بواعثَنا إليك وزِدْ قُوَى ... رَغَبَاتِنا فيما لديْك ذَليلا

واحفظْ عقَايدَنا بما حُفِظَتْ ... صحايفُك التى أخرتها تَنْزِيلا

نزِّه مساحلَنا عنِ الكَلم التى ... تستخلفُ التشكيكَ والتأْويلا (٣)

عظِّمْ جلالَك فى القلوبِ وصغِّرِ (م) ... الدنيا لأعيننا تزيدُ زحُولا (٤)

بمحمدٍ بحرِ الندى مُنْبِي الصَّدى ... نورِ الهُدَى لمنِ اقتفاه سَبيلا

أخلى الدِّيارَ عن الفسادِ فَملِيَّت ... عدلاً وكانت تستمر حُدُولا (٥)

---

(١) السحت : ما خبث من الكسب ، ومال المهاوش : كالسرقة والغصب وما أخذ من مالكه بالحيلة .

(٢) المكثر : الغنى ، والخليل : الفقير . (٣) المساحل : الألسنة .

(٤) الزحول : مصدر زحل عن مكانه اذا تنحى وابتعد .

(٥) الحدول : الجور.

وَهَدَى إلى دينٍ قويمٍ بعد أن ... صارتْ فلاةً من انتحى وثكولا (١)

جاءت شريعتُه تزيدُ لما مضى ... نوراً يقوِّي ما رأته بئيلا (٢)

هذا القصيدُ لنا دفاترُ حكمةٍ ... ونصاحةُ الدِّينِ الحنيفِ خليلا

احفظْه ثمَّ اعملْ بما أودعته ... نصاحا فأبى أن يزول بطولا (٣)

لاميةُ الرُّومي جمعتْ فضول ... الأفخرين وكمَّلتْ تكميلا

فأتتْ بفضلِ اللهِ بحراً كاملاً ... من خاضه قد جمَّع التكميلا

إن رمتَ تاريخاً قل انقِ ثانياً ... فيه عن التصريح فز تحصيلا (٤)

أبياتُها مختومةٌ بالحمدِ للـه ... الذي شمل الأنامَ شمولا

فضلاً ببعثِ محمدٍ خيرِ الورى ... بهدى ودينِ الحقِّ جاءَ رسولا

وسمتْ مكانةُ ذاتِه من ربه ... وتفردت حتَّى علا جبريلا

يا ربِّ صلِّ عليه ما اخضَّرَ الفلا ... وجرى النَّسيمُ على الرُّبوعِ جفولا

---

(١) إشارة الى زمن الفترة وما فيها من ضياع ومهلكة.

(٢) البئيل : الضعيف .

(٣) بطولا : أى خسرانا ويذهب سدى .

(٤) أى أن تاريخ اللامية عام (١٠٠٢) تبعا للقيمة العددية لحروف .

وزِدِ السَّلَامَ عـليه سدًا صيِّبـــــًا وعـلى الصحابـِـة ديمـه يعلـــولا[1]

ما رنَّحت ريح الصبا عذبـــات بـا ن حمى العطـاء من الجليلِ جزيلا

أو أطربَ الحادِي بنغـــمِ عيسَـه ونت بها طــرق الحجيجِ حجـولا

---

(١) السحاب الأبيض والمطر بعد المطـر.

الخاتمة

كان للأسم الذى انفردت به لامية العرب عن نظائرها أثر فى ضياع نسبتها فقد تنوسى قائلها واستعاضت بنسبتها لهم عن نسبتها له فهى تحمل المعانى الكلية التى يصح أن يدعيها كل عربى .

ولم يتنبه الدارسون لهذا فراحوا يسوقون الأدلة الواحد تلو الآخر التى تنفى نسبتها عن الشنفرى الأزدى وتثبتها لخلف الأحمر.

الا أن الرسالة تصدت لتلك الأدلة وردتها فأبطلت ما توهموه من أن اللامية لم تذكر قبل القرن الرابع الهجرى كما أبطلت ما ذهبوا اليه من أن لسان العرب لم يذكر أى بيت منها .

أما ما ذهبوا اليه من أن الشعر والشعراء لابن قتيبة والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى وغيرهما من كتب الاختيارات لم تذكرها فإن ذلك لا يعتد به لأن كتب الاختيارات قائمة على فكرة النقص الإنسانى فالذى يختار ينتقى ما ليس شائعا ويخاف أن ينساه الناس ، فعدم ورود اللامية فى هذه الكتب لا يعنى الشك فيها ، ولا فى نسبتها إلى الشنفرى .

وكشفت الدراسة عن لاميات تنسب إلى الأمم الأخرى لا يعرف عنها شيء هي لامية الهند ولامية الروم ولامية الأتراك ، كما قامت الدراسة بالمقارنة بين لامية العرب وهذه اللاميات ، وكشفت عن المعاني المشتركة بينها وهي : الإقامة والجوع والصداقة والفخر.

كما بينت معالم اللغة الشعرية للامية وفق منهج نقدي من شأنه أن يكتشف جوانب الثراء التي يحتضنها أدبنا العربي .

والحمد لله رب العالمين ..

المصادر والمراجع*

أ - المطبوعة :

- أدب الكاتب :

لابن قتيبة (أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة) ، حققه محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢ .

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة :

لابن الأثير ، تحقيق محمد البنا ، محمد عاشور ، محمود عبد الوهاب دار الشعب .

- الأشباه والنظائر فى أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين :

للخالديين (أبى بكر محمد وأبى عثمان سعيد) ، تحقيق د . محمد يوسف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

- أشعار الشعراء الستة الجاهليين :

اختيار الأعلم الشنتمرى (يوسف بن سليمان بن عيسى) ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

- الأصمعيات :

اختيار الأصمعى (أبى سعيد عبد الملك بن قريب) ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، بيروت ، الطبعة الخامسة .

---

* تم توثيق الدوريات والمجلات فى الهوامش الخاصة بها فى مواطنها من البحث .

- أعجب العجب في شرح لامية العرب :
للزمخشري (أبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي) ، مطبعة الجوائب ، ١٣٠٠هـ.

- اعراب لامية الشنفرى :
للعكبري (أبي البقاء عبدالله بن الحسين) ، تحقيق محمد أديب عبدالواحد جمران ، المكتب الاسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ.

- الاعلام :
لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠م.

- الأغاني :
لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار الثقافة .

- الأمالي :
لأبي علي القالي (اسماعيل بن القاسم) ، دار الكتاب العربي .

- البيان والتبيين :
للجاحظ (أبي عمرو بن بحر) ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الرابعة .

- تاريخ آداب العرب :
للرافعي (مصطفى صادق) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٤هـ.

- تاريخ الأدب العربي :
لبروكلمان ، ترجمة د . عبدالحليم النجار ، دار المعارف بمصر ،
الطبعة الرابعة .

- تاريخ الأدب العربي :
لبلاشير ، ترجمة د . ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر بدمشق ،
الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ.

- تاريخ التراث العربي :
لفؤاد سزكين ، ترجمة د . محمود فهمي حجازي ، جامعة الامام
محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٣هـ.

- تعطير الأنام في تعبير المنام :
للشيخ عبدالغني النابلسي ، دار الفكر - بيروت .

- جمهرة أشعار العرب :
للقرشي (أبي زيد محمد بن أبي الخطاب) ، تحقيق علي محمد
البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

- جواهر الأدب :
للسيد أحمد الهاشمي ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة السادسة
والعشرون ، ١٣٨٥هـ.

- حياة الحيوان الكبرى :
للدميري (كمال الدين) ، دار الفكر - بيروت .

- الحيوان :

للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار احياء التراث العربى - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨هـ.

- الخصائص :

لابن جنى (أبى الفتح عثمان بن جنى) ، دار الهدى - بيروت ، الطبعة الثانية .

- دراسات عربية واسلامية مهداة الى محمود شاكر بمناسبة بلوغة السبعين القاهرة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م.

- دلائل الاعجاز :

للجرجانى (أبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)، علق عليه محمود شاكر ، مكتبة الخانجى بالقاهرة .

- ديوان حسان بن ثابت :

تحقيق سيد حنفى حسنين ، دار المعارف بالقاهرة .

- ديوان الطغرائى :

تحقيق د . على جواد الظاهر ، د . يحيى الجبورى ، دار القلم - الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ.

- ديوانا عروة بن الورد والسموأل ، دار صادر

- رسالة الغفران :
لأبي العلاء المعرى ، تحقيق وشرح د . عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة السابعة .

- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى :
للألوسى (أبى الفضل شهاب الدين) دار احياء الترث العربى ، بيروت .

- شرح ديوان الفرزدق :
عبد الله الصاوى ، مطبعة الصاوى .

- شرح القصائد التسع المشهورات :
لابن النحاس (أبى جعفر أحمد بن محمد) ، تحقيق أحمد خطاب ، دار الحرية للطباعة ، ١٣٩٣هـ.

- شرح لامية العرب :
للعكبرى - تحقيق د . محمد خير الحلوانى ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.

- شرح لامية العرب :
للمبرد (أبى العباس محمد بن يزيد) بحاشية شرح الزمخشرى (أعجب العجب) مطبعة الجوائب ، ١٣٠٠هـ.

- شرح المفضليات :
لابن الأنبارى (أبى محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى) ، عناية المستشرق ليال ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٢٠ .

- الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى :
للدكتور يوسف خليف ، دار المعارف بالقاهرة ،الطبعة الثالثة.

- الشعر والشعراء :
لابن قتيبة (أبى محمد عبدالله بن مسلم) ، تحقيق د . مفيد قميحه ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠١هـ.

- الشعر واللغة :
للدكتور لطفى عبد البديع ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩م.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع :
للسخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) ،دار مكتبة الحياة، بيروت .

- طبقات فحول الشعراء :
لابن سلام (محمد بن سلام الجمحى) ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى .

- طبقات النحويين واللغويين :
للزبيدى (أبوبكر محمد بن الحسن) ، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ،١٩٥٤م.

- الطرائف الأدبية :
لعبد العزيز الميمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- عبقرية العربية :
للدكتور لطفى عبد البديع ،طبعة نادى جدة الأدبى ، ١٤٠٦هـ.

- العقد الفريد :

لابن عبد ربه (أبى عمر بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) ، ضبط أحمد أمين ، أحمد الزين ، الأبيارى ، دار الكتاب العربى - بيروت ، ١٤٠٣هـ.

- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده :

لابن رشيق (أبى على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى) ،تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ،دار الجيل - بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م.

- الغيث المسجم فى شرح لامية العجم :

للصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ،دار الكتب العلمية ، بيروت - الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ.

- فى التذوق الجمالى للامية العرب :

لمحمد على أبو حمدة ، مكتبة الأقصى - عمّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ.

- فى قضايا الأدب واللغة بمناسبة افتتاح القرن الخامس عشر :

اعداد وتقديم د. عبده بدوى ، مؤسسة الصباح - الكويت، ١٤٠١هـ.

- قصائد جاهلية نادرة :

انتقاها د. يحى الجبورى من كتاب " منتهى الطلب من أشعار العرب" ، مؤسسة الرسالة .

- القوافي :
للتنوخي (أبي يعلى عبد الباقي عبد الله بن المحسّن) ، تحقيق د . عوني عبد الرؤوف ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م.

- اللاميات :
اعداد وتقديم د . محمد ابراهيم نصر ، سلسلة "من عيون الشعر" دار الرشيد - الرياض .

- لامية العرب :
للدكتور عبد الحليم حفني ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز.

- لامية العرب نشيد الصحراء :
للدكتور محمد بديع شريف ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٦٨م

- لسان العرب :
لابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ، دار صادر - بيروت .

- المفضليات :
للمفضل الضبي (محمد بن يعلى) ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، بيروت ، الطبعة السادسة .

- مقالات في الشعر الجاهلي :
ليوسف اليوسف ، دار الحقائق - الجزائر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣

- المنصف :

لابن جني تحقيق ابراهيم مصطفي وعبد الله أمين ، مطبعة البابى الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

- المنصفات :

جمعها وحققها عبد المعين الملوحى ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، دمشق ، ١٩٦٧م.

- الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء :

للمرزبانى (أبى عبد الله محمد بن عمران) ، نشر جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥هـ.

- نزهة الخواطر وبهجة السوامع والنواظر :

لعبد الحى الحسني - حيدرآباد الدكن - الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ.

- نور القبس :

لليغمورى (أبى المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود) ، تحقيق زودولف زلهايم ، قبسادن : ١٩٦٤م - ١٣٨٤هـ.

ب - المخطـوطـة :

- إحقاق الحق وتبرؤ العرب مما أحدثه عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب للشنقيطي خ مكتبة الحرم النبوي الشريف رقم (٢٥/٤١٥) مصورة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى

- اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور خ المكتبة الأزهرية رقم ($\frac{٤٦٤}{٧٠٦٠}$) أباظة مصورة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى

- سكب الأدب على لامية العرب للشاوي خ المكتبة الوطنية بفينا ، متنوعات (١٥٨٧/١) مصورة مكتبة جامعة الملك سعود .

- شرح لامية العرب للمبرد خ دار الكتب المصرية رقم (٢٦٩) شعر تيمور

- شرح لامية الروم لحسين رستم خ دار الكتب المصرية رقم (٨٨م) .

- لامية الأتراك لعبد اللطيف الناصري خ دار الكتب المصرية رقم (٩١م) .

- المنثور والمنظوم لابن طيفور خ مكتبة جامعة الحكمة ببغداد رقم (٥٨) مصورة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى

الفهـــرس